مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي

د. جميل علي السورجي(★)

مستخلص البحث:

هذا البحث جاء بعنوان: مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي.

تحدث الباحث متناولاً الجمال من حيث معناه الواسع، ونشأته، وإبراز مدلولات مفهومه لدى الفلاسفة القدامى، والمسلمين، والغربيين مع بيان الألفاظ الدالة عليه.

ومن خلال مفهوم الجمال في القرآن الكريم تضمن البحث الكلام عن جمال النساء، والحدائق، والكون، والحيوانات، للإنسان، والأموال، والأولاد، والجنة، وكذلك تضمن الكلام عن الجمال من خلال السنة المطهرة.

تطرق البحث كذلك إلى تناول العلاقة ما بين الأخلاق والجمال ومحاولة الربط بينهما من منظور إسلامي، وعن أنواع الجمال ومعاييره في الإسلام ودوره في العلاقات الإنسانية التي صورها الإسلام.

ومن خلال هذا السرد لمفهوم الجمال توصل البحث إلى أن الجمال في الإسلام أوسع من مفهومه لدى الغرب.

(★) الأستاذ المساعد، بجامعة صلاح الدين الأيوبي، أربيل، العراق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

The researcher discusses beauty as regards its wide meaning, its origination, and the denotations of its concept in the views of the ancient philosophers, the Muslims and the westerners. He also discusses the terms used to denote beauty.

Discussing the concept of beauty in the Holy Quran and prophetic tradition, the researcher tackles the beauty of women, gardens, the universe, the animals, human beings, property, children and paradise.

The researcher reviews the relation between beauty and ethics in Islamic perspective, and the types and criteria of beauty in Islam, together with its role in human relations as reflected in Islam.

The researcher, through this broad preview of the concept of beauty, concludes that this concept is much wider in Islam than it is in the west.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدّمة:

الحمد لله الّذي وهب الإنسان الإحساس بالتّذوق في مظاهر الوجود، وجعل الجمال مصاحباً للعبادة، والصّلاة والسّلام على خير خلقه محمَّد الّذي زيّن الدّنيا بخلقه العظيم، وعلى آله وصحبه الطّيّبين الطّاهرين أجمعين، أمَّا بعد:

فإنّ الله تعالى خلق الإنسان ميّالاً للجمال محبّاً له، ووجَّهه إلى طرق لاكتسابه، مهيّئاً له الأسباب الّتي يأخذ بها ليزداد جمالاً وزينة، وطالبه بأن يجمّل باطنه بإزالة الحقد والحسد منه، وظاهره بالمحافظة على شكله الخارجي بالوضوء والغسل، ومراعاة سنن الفطرة من الاستحداد والسّواك وتقليم الأظافر وغيرها[1].

والجمال يعطي الإنسان إحساساً بالرّاحة، وينمّي طاقاته، ويجدّدها، وقد راعى الإسلام هذه الحقيقة حينما تحدّث القرآن عن الجمال ولفت نظر الإنسان إلى ما في الموجودات من جمال وروعة وفنّ وإبداع كدليل على قدرة الله تعالى وعظمته؛ إذ الكون بكلّ ما فيه من تناسق وروعة وجمال يشكّل لوحة فنيّة أخّاذة بيد الإنسان إلى معرفة خالقه، كما وصف تعالى نفسه بالبديع والمصوّر والخالق الّذي أتقن كلّ شيء وحسَّنه.

وكما اهتمّ الإسلام أيضاً بالجمال فيما يستخدمه الإنسان، قال تعالى عن الدّواب الّتي يركبها الإنسان: {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ}[2]، وهو جمال الاستمتاع بالنّظر إليها، وزيّن الأرض للإنسان بما عليها، كما قال

(1) ينظر: المدني، أزهار محمود صابر. أحكام تجميل النّساء في الشّريعة الإسلاميّة، مرجع سابق، ص:62.

(2) سورة النحل الآية: 6.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}[1]، وأنكر على من يحرّم زينة الله تعالى فقال: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ}[2]، بل أمر بالتّجمّل وأخذ الزّينة عند أداء العبادات بين النّاس قال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ}[3].

كما حثّ الرّسول ﷺ المسلمين على التّجمّل وأخرجه عن نطاق التّكبّر، بل مدحه بقوله: ((إنّ الله جميل يحبّ الجمال))[4]، وكان بنفسه المثل الأعلى في الأناقة والجمال، وبهذا يظهر عناية الإسلام البالغة بالجمال وتنمية الحسّ الجمالي لدى الإنسان.

ولم يحصر الإسلام الجمال في الماديّات والجسد فقط كما هو عند الغرب، وإنّما جعله في القيم والأخلاق أيضاً، وفي حسن المنطق، وحسن المعاشرة واحترام الغير، كما هو في اللّباس والعطر، والأزهار والبيت والشّارع والمدينة، وبذلك يختلف مفهوم الجمال في الإسلام عن مفهومه عند الغرب، حيث يهتمّون بإظهار مفاتن الجسد لإغراء الآخرين دون التفات إلى القيم والعفّة والأخلاق.

أهميّة الموضوع وأسباب اختياره:

[1] كون الموضوع حيويّاً يتعلّق بنفوس كلّ فرد، وبيان منهج الإسلام فيه، ومدى اهتمامه به، والإفادة منه في بناء الحضارة الإسلاميَّة.

---

(1) سورة الكهف الآية: 7.

(2) سورة الأعراف الآية: 32.

(3) سورة الأعراف الآية: 31.

(4) النّيسابوري، مسلم بن الحجّاج (توفي261هـ). صحيح مسلم. بيروت: دار إحياء التّراث العربي، د. ط، د. ت، كتاب"الإيمان"، باب "تحريم الكبر وبيانه"، حديث رقم 91، ج1، ص: 93.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[2] إزالة ما يوجد من الغموض والشّوائب في مفهوم الجمال في الإسلام عند البعض، وردّ اتّهام البعض للإسلام بالبعد عن الجمال، وكونه مانعاً لإظهاره وإيجاده.

خطّة البحث:

تقتضي طبيعة الموضوع توزيعه على مقدّمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة تتضمّن أهمّ النّتائج:

المبحث الأوّل: تعريف الجمال، ونشأته، وطبيعته، وبيان مفهومه عند النّاس، ويتضمن ثلاثة مطالب.

المبحث الثّاني: مفهوم الجمال في القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة، ويتضمن مطلبين.

المبحث الثّالث: أنواع الجمال ودوره في العلاقات من منظور إسلامي، ويتضمن ثلاثة مطالب.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأوّل: تعريف الجمال، وطبيعته، ونشأته، وبيان مفهومه عند النّاس، والألفاظ الدّالة عليه

المطلب الأول: تعريف الجمال لغة واصطلاحاً

{أ} الجمال في اللّغة:

لا بدّ أن نرجع إلى معاجم اللّغة العربيّة لكي نستقي منها معنى الجمال ومفهومه والألفاظ الدّالة عليه حتّى نبيّن من خلالها مفهومه في الإسلام.

الجمال: الحسن الكثير، وهو مصدر الجميل، وهو ما يتجمَّل به ويتزيّن، وهو ضدّ القبح، والفعل منه جمُل يجمل، يقال: جَمُل ككرم، فهو جميل وجُمَالٌ، وجُمّالٌ (بالضّمّ والتّشديد) على التكثير أجمل من الجميل، وجمَّله: أي زيّنه،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتّجمّل: تكلّف الجميل، وامرأة جملاء وجميلة، وهي الّتي تأخذ ببصرك على البعد، والتّجميل: زيادة شيء على الأصل.

ويقال: جامَلت فلاناً مجاملة: إذا لم تُصْفِ له المودّة والإخاءَ، وماسحته بالجميل، والمجاملة: المعاملة بالجميل، ويقال: أجملت في الطّلب: رفقت، ويقال للشّحم المذاب جميل[1].

وقد جمُل الرجل بالضم والكسر جمالا فهو جميل، وتجمّل تجمّلاً: تزيّن وتحسّن: إذا اجتلب البهاء والإضاءة[2].

ويجوز أن يكون الجمل إنّما سمّي بذلك؛ لأنّهم يعدّون ذلك جمالاً لهم[3].

الزّين خلاف الشّين، وهو مصدر زان يزين، والزّينة: اسم جامع لكلّ شيء يتزيَّن به[4]، وتزيّن وازدان بمعنى واحد، ويقال للماشطة مزيّنة[5]، كما يقال للحلاّق مزيّن.

ويفهم من هذا أنّ الزّينة في اللّغة تطلق على معنى زائد على أصل الخلقة، أي شيء أضيف على أصل الخلقة، دون الجمال، فهو ما كان موجوداً في أصل الخلقة.

---

(1) ينظر: ابن منظور. لسان العرب، (توفى711ه)، دار صادر، بيروت، د. ت، ج11، ص126، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، بيروت، 1420ه، ج1، ص481.

(2) ينظر: ابن منظور. لسان العرب، مرجع سابق، ج11، ص126، ابن سيدة المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، بيروت، دار الكتب العلميّة، 2000م، ج7، ص450.

(3) ينظر: الزّبيدي، محمّد مرتضى الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، د. ت. ، ج28، ص236.

(4) ينظر: ابن سيدة المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، مرجع سابق، ج9، ص:91-92.

(5)ينظر: ابن منظور. لسان العرب، مرجع سابق، ج13، ص201، و352.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والحسن: الجمال، وكلّ مبهج مرغوب فيه، يقال: حسن حسناً: جمل، فهو حسن وهي حسناء جمعه حسان للمذكّر والمؤنّث، وأحسنَ: فعل ما هو حسن، قال تعالى: {وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ}[1]، وحسنَ الشّيء: زيّنه، والأحسن: الأفضل، قال تعالى: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ}[2]، والحسنى مؤنّث الأحسن[3].

{ب} الجمال في الاصطلاح:

اعتمد العلماء في تعريفهم للجمال اصطلاحاً على المعنى اللّغوي له، فعرّفوه في الاصطلاح بأنّه رقّة الحسن، وهو قسمان: جمال مختصّ بالإنسان في ذاته أو شخصه أو فعله، وجمال يصل منه إلى غيره [4]، وهو من الدّوات تناسب الأعضاء،ومن الصّفات ما يتعلّق بالرّضا واللّطف [5].

وذهب البعض إلى أنّ مفهومه قريب متداول، يفهمه الجميع ويتعاملون معه، ولكنّ التّعريف به بعيد المنال، وقيل: الجمال لا يقبل التّعريف؛ لأنّه معنى

(1) سورة غافر الآية: 64.

(2) سورة الزمر الآية: 18.

(3) ينظر: المحص، عبد الجواد محمّد. الجمال في القرآن الكريم (مفهومه ومجالاته)، د. ن، 1426هـ، 2005م، ص13–14.

(4) ينظر: المناوي، محمّد عبد الرّؤوف. التّعاريف التّوقيف على مهمّات التّعاريف، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1410هـ، ج1، ص251.

(5) ينظر: الجرجاني، علي بن محمّد بن علي. التّعريفات، بيروت، دار الكتاب العربي، 1405هـ، ص105، القاضي عبد النّبي بن عبد الرّسول الأحمد نكري، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، بيروت، دار الكتب العلميّة،1421هـ/2000م، ج2، ص281.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجداني يختلف الأفراد في تقديرهم له، وإنّما يعرف من خلال الأشياء الجميلة[1].

وقال الغزاليّ في تعريفه: ((كلّ شيءٍ فجماله وحسنه في أن يحضر كماله اللّائق به الممكن له، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرةً فهو في غاية الجمال،وإن كان الحاضر بعضها فله من الحسن والجمال بقدر ما حضر، فالفرس الحسن هو الذي جمع كلَّ ما يليق بالفرس من هيئة وشكل ولون وحسن عدو وتيسر كرّ وفرّ عليه، والخطّ الحسن كلّ ما جمع كلّ ما يليق بالخطّ من تناسب الحروف وتوازيها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها، ولكلّ شيءٍ كمال يليق به، وقد يليق بغير ضدّ، فحسن كلّشيء في كماله الّذي يليق به فلا يحسن الإنسان بما يحسن به الفرس، ولا يحسن الخطّ بما يحسن به الصَّوت، ولا تحسن الأواني بما تحسن به الثّياب، وكذلك سائر الأشياء))[2].

وقال السّيوطي: هو الهيئة الّتي لا تنبو الطّباع السّليمة عن النّظر إليها[3].

وقيل[4]: جمال كلّ شيء وبهاؤه هو أن يكون على ما يجب له[5].

ويبدو أنّ تعريف الغزالي يفسّر مفهوم الجمال عند ابن سينا؛ لأنّ ما يجب للشّيء إمّا الكمال الملائم أو الخير الملائم، فجمال كلّ شيء كامن فيه،

(1) ينظر: الشّامي، صالح أحمد. الظّاهرة الجماليّة في الإسلام، بيروت، المكتب الإسلامي، 1407هـ، 1986م، ص23–24.

(2) الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد. إحياء علوم الدّين، بيروت، دار المعرفة، د. ت، ج4، ص299.

(3) ينظر: السّيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين. معجم مقاليد العلوم، مصر، مكتبة الآداب، 1424هـ – 2004 م، ص199.

(4) وهو الشّيخ الرّئيس ابن سينا: (370–428هـ). ينظر: رفاعي، أنصار محمّد عوض الله. "الأصول الجماليّة والفلسفيّة للفنّ الإسلامي"، (رسالة دكتوره، جامعة حلوان، 2002م)، ص339.

(5) ينظر: المرجع السّابق، ص339.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالخطّ الجميل هو الّذي جمع ما يليق بالخطّ من تناسب الحروف، وتوازيها، واستقامة ترتيبها، وحسن انتظامها، فما يجمّل الإنسان لا يجمّل الحيوان ممّا هو من خصوصيّاته، وما يجمّل فنّ الخطّ لا يجمّل فنّ الأصوات، وما يجمّل الأواني ويزخرفها غير ما يجمّل الثّياب، وهكذا في سائر الموجودات.

وقد قيل عن الجمال ممّا يتّفق مع هذه المعاني إنّه: تناسب الخلقة واعتدالها واستواؤها[1].

وقيل: هو البهاء، وكثرة الحسن، ورقّته، ويقع على الصّور والمعاني، ويترك في النّفس البشريّة إحساساً بالبهجة والسّرور والدّهشة[2].

والجمال محبوب لذاته، لا لشيء آخر، ومنفعة الإنسان منه هي متعة نظره أو سمعه أو شمّه أو عقله، وفي هذا تلبية من تلبية حاجات النّفس الفطريّة[3].

المطلب الثّاني: نشأة الجمال وطبيعته ومفهومه عند النّاس: (الفلاسفة القدامى والمسلمين والغربيين)

لا بدّ أن نرجع إلى النّصوص التّاريخيّة والحضارات القديمة؛ لكي نعرف النّشأة الأولى لعلم الجمال وبيان مفهومه والاهتمام به عند القدامى.

هناك تطوّر تاريخيّ للجمال قبل أن تكتمل له صورة العلم الكامل، كما أنّ هناك مواقف جماليّة تاريخيّة تعرّض أصحابها لتفسير ظاهرة الجمال قبل

(1) ينظر: المدني، أزهار محمود صابر. أحكام تجميل النّساء في الشّريعة الإسلاميّة، السّعوديّة، دار الفضيلة، 1422هـ/2002م، ص56.

(2) ينظر: عبد الغفور، محمّد أحمد. "الجمال في ضوء السّنّة النّبويّة دراسة موضوعيّة"، ((رسالة ماجستير، الجامعة الإسلاميّة بغزّة، 2009م))، ص3.

(3) ينظر: الشّامي، صالح أحمد. الجمال في منهج الإسلام وتشريعه، السعودية، دار كنوز أشبيليا، 1428هـ/2007، ص22.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن ينشأ علمه في العصر الحاضر، ولكن ليس من شكّ في أنّ تعلّق الإنسان بالجمال قديم قدم الإنسانيّة، وأنّ التذاذه بنواحي الجمال فيما يحيط به من مظاهر الطّبيعة وفيما ينتجه من آثار أمر يشهد به تاريخ الإنسانيّة وتسجّله آثارها منذ العصر الحجري القديم إلى عصور الحضارات القديمة المعروفة[1].

فينبغي أن نبيّن طبيعة الجمال وما يراد به على مرّ التّاريخ حتّى نطّلع على جزئيّاته أكثر، ونعرف وجهات نظر النّاس إليه.

{أ} مفهوم علم الجمال عند الفلاسفة القدامى:

إذا نظرنا إلى الحضارة اليونانيّة القديمة، نستشفّ منه وجود الجمال عندهم، وشدّة إقبالهم –حتّى قبل عصر الفلسفة- وحرصهم على تمجيد ربّات[2] الفنون وعباداتها وتقديم القرابين إليها ورعايتها إيماناً منهم بتقديس مظاهر الجمال الخالدة في الفنّ والطّبيعة، كما يوجد ارتباط وثيق عند هذا الشّعب وغيره بين الأعمال الفنيّة والدّين، وقد كان الدّين هو الأساس الّذي ينظّم حياة هذه الشّعوب وحضاراتها، واتّخاذ الفنّ وسيلة للتّعبير عن الحياة الدّينيّة يعدّ اعترافاً بما للفنّ من قيمة كبرى لدى هذه الشّعوب.

فالجمال عند الفلاسفة كان له حظّ كبير من الكلام والبحث: وهو عندهم صفة تلحظ في الأشياء، وتبعث في النّفس سروراً ورضا، وتستحسنها النّفوس

(1) ينظر: حسين الصّدّيق. فلسفة الجمال ومسائل الفنّ عند أبي حيّان التّوحيدي، سوريا، دار القلم العربي، 1423هـ/2003م، ص7.

(2) كان اليونانيّون يرون أنّ للفنون ربّات حيث تذكر الأسطورة اليونانيّة أنّه كان لكبير الآلهة زيوس القابع على جبل الأولمب تسع بنات هنّ ربّات الفنون وتسمّيهنّ الأسطورة the muses وكلّ ربّة من هذه الربّات تختصّ برعاية فنّ من الفنون، فللشّعر ربّة، وللخطابة ربّة، وللدّراما ربّة، وللكوميديا ربّة وهكذا، وكانت مدرسة أفلاطون تحتفل بعيد هذه الربّات كلّ عام، ويقوم تلاميذ المدرسة في الأكاديميّة بطقوس شبه دينيّة موجّهة إلى الربّات. ينظر: المصدر السّابق، ص9.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السّويّة، وعلم الجمال باب من أبواب الفلسفة يبحث في الجمال ومقاييسه ونظريّاته[1].

كلّ هذا يؤكّد أنّ اهتمام اليونانيّين بتقدير الجمال قد بدأ قبل أفلاطون بكثير، ولكن كان له الفضل في تسجيله والتّعرّض لتحليله، حيث كان أوّل فيلسوف يونانيّ يهتمّ بتسجيل موقف معيّن من ظاهرة الجمال، فأقام للجمال مثالاً هو الجمال بالذّات، ذلك الّذي يحتذيه الصّانع في خلقه لموجودات العالم المحسوس، واعتقد أنّ الفنّ مصدره إلهام صادر من ربّات الفنون، وهي ليست إلاّ إشارات رمزيّة أسطوريّة في محاوراته، ويبقى مصدر هذا الإلهام من النّاحية الفلسفيّة في الجمال بالذّات، فربّات الفنون الأسطوريات هنّ رموز تعبّر عن فكرة الجمال بالذّات، ومصدر الفنّ في نهاية الأمر هو المثال المعقول للجمال[2].

{ب} مفهوم الجمال عند فلاسفة الإسلام:

كان لفلاسفة الإسلام مفاهيم في الجمال، وأشهر هذه المفاهيم التي لعبت دوراً مهماً في النَّظرية الجمالية عندهم، هو مفهوم التناسق، فقد لقي مفهوم التناسق الكوني الذي ظهر عند الفيثاغوريين تأثيراً لدى الفلاسفة المسلمين، وخصوصاً عند إخوان الصفا الذين طوَّروا مفهوم التناسق بشكل يتَّفق مع بحثهم حول نظريات الموسيقى، كما استفادوا من أراء أفلاطون المثالية الذي يرى أنَّ مصدر الجمال هو الجمال الحقيقي المثالي الكلّي في عالم المثل، وليس

(1) ينظر: الحلو، عبير أيّوب. زينة المرأة المسلمة وعمليّات التّجميل، أحكامها- تطبيقاتها، عبير أيّوب الحلو، القاهرة، دار الكتاب العربي، 2007م، ص34.

(2) ينظر: أبو ريّان، محمّد علي. فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، مصر، دار المعرفة الجامعيّة، د. ت، ص8-11.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صور الواقع الّذي يعتبر ظلَّ الحقيقة أو صورتها، وليس هي نفسها، وحدّد عناصره بالوزن والتّناسب، وأرسطو الذي يعتقد أنَّ الجمال هو الانسجام الحاصل من خلال وحدة تجمع في داخلها التنوع والاختلاف في كل منسجم، وأفلوطين الّذي يعتقد أنَّ الجمال هو تلك الحياة التي وهبها الله مخلوقاته ونفخ فيها من روحه، ومن ثم فالشيء الجميل هو الذي يشع بالحياة[1].

مفهوم الجمال عند المسلمين: هناك موقفان يجب أن نميّز بينهما:

الموقف الّذي يتطلّبه الشّرع ويصدر عن أصول الدّين ومسلّماته، ومفهوم الجمال فيه يتبيّن فيما بعد من خلال ذكر الآيات والأحاديث الواردة فيه.

الموقف الّذي يتعلّق بأساليب الحياة الاجتماعيّة والثّقافيّة الّتي كان المسلمون يمارسونها بالفعل في واقعهم التّاريخي سواء كانوا ملتزمين فيها بقواعد الشّرع أم مبتعدين عنها.

ولا شكّ أنّ المسلمين خصوصاً في عصور الازدهار الحضاري قد أقبلوا على الفنون وشغفوا بها، وقدّروا الأعمال الفنيّة من غناء ورقص وشعر الخ، وكان النّظر إلى هذه الفنون من ناحية استثارتها للحواسّ فحسب، فالفنّ الشّعري كان له المقام الأوّل عند المسلمين، وكان المتذوّقون كما يهتمّون بالأوزان المعروفة للشّعر يهتمّون بدرجة أكبر بمضمونه، فلم تكن نظرة

(1) ينظر: رفاعي، أنصار محمّد عوض الله. "الأصول الجماليَّة والفلسفيَّة للفنّ الإسلامي"، مرجع سابق، ص382–383، عيد سعد يونس. التَّصوير الجمالي في القرآن الكريم، مصر، عالم الكتب، 1427هـ/2006م، ص24–26.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسلمين إلى تذوّق الجمال تستند إلى الإدراك الحسيّ فقط، بل كانت تربط اللّذة بما هو جميل بإدراك ذهنيّ يكشف عن جمال المضمون[1].

ولكن مع هذا يجب أن نشير إلى أنّ لآراء الفقهاء بالمنع والتّحريم لبعض الفنون كان أثراً واضحاً في تعطيل توجيه الإحساس بالجمال عند المسلمين تجاه هذه الفنون، وتعطيل إنتاجها في بعض البلاد الإسلاميّة في المشرق كالنّحت، والتّصوير[2] [3]، ولكن لم يمنع هذا التّحريم المسلمين في الأندلس من أن يبرعوا في هذا الفنّ[1].

(1) ينظر: أبو ريّان، محمّد علي. فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، مرجع سابق، ص19–20.

(2) قد كان لمنع تصوير الأشخاص والحيوانات تأثيره في بلاد المشرق أول الأمر، ولم يشذ عن هذا سوى الفرس الّذين لم يأبهوا كثيراً بتحريم التّصوير انسياقاً مع تراثهم الفنيّ القديم، كما دخل المسلمون في العصور المتأخّرة هذا الميدان خصوصاً فيما يتعلّق بالتّصوير على النّسيج أو صفحات المخطوطات أو مقابض السّيوف وجدران القصور أو المساجد، وذلك على صورة مصغّرات تعدّ من أبرع الأعمال الفنيّة في مجال الفنّ الزّخرفي. ينظر: أبو ريّان، محمّد علي. فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، ص21.

(3) ذهب بعض من الفقهاء إلى أنّ الأصل في تصوير كلّ ما فيه روح من الإنسان وسائر الحيوانات أنّه حرام، سواء كانت الصّورة مجسَّمة أم رسوماً على ورق أو قماش أو جدران ونحوها، أم كانت صورا شمسية؛ واستدلّوا لما ذهبوا إليه بما ثبت من الأحاديث الصّحيحة من النّهي عن ذلك، وتوعَّد فاعله بالعذاب الأليم، ولأنّها عهد في جنسها أنه ذريعة إلى الشرك بالله بالمثول أمامها والخضوع لها والتقرّب إليها، وإعظامها إعظاما لا يليق إلا بالله تعالى، ولما فيها من مضاهاة خلق الله، ولما في بعضها من الفتن كصور الممثّلات والنّساء العاريات ومن يسمَّين بملكات الجمال وأشباه ذلك، وقالوا: إنَّ عموم الأحاديث الواردة في ذلك يدلّ على تحريم تصوير كل ما فيه روح مطلقاً، أمَّا ما لا روح فيه من الشّجر والبحار والجبال ونحوها فيجوز تصويرها، كما ذكره ابن عباس –رضي الله عنهما–، ولم يعرف عن الصحابة من أنكرعليه، وقد ذهب الشّيخ الدّكتور محمّد عمّارة إلى إباحتها نظراً إلى أنّ علّة النّهي عنها إنّما كانت لجماعة بشريّة قريبة عهد بالشّرك والوثنيّة، وحديثة عهد بالتّوحيد الإسلامي، فليس الذّمّ الموجود في الأحاديث للصّور والمصوّرين بالمعنى الموجود الآن عند الحديث عن فنون التّشكيل وفنانيها، وإنّما كان عن الأصنام الّتي تعبد من دون الله تعالى، فكأنّ الشّرع أراد أن يقطع الصّلة تماماً بين الماضي الوثني والحاضر الإسلامي، وكأنّ العلّة هي خوف تحوّل هذه الصّور إلى معبودات،فكأنَّ النّهي عن الصّور كان نهياً عن الوثنيّة ينظر:=

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكان موقف المسلمين واضحاً من الاهتمام بالفنون والآثار الجميلة وتقديرهم للجمال في جميع صوره وتعلّقهم بالمظاهر الحسّيّة للجمال سواء عن طريق البصر أو السّمع[2].

{ت} مفهوم الجمال عند متصوّفة المسلمين:

لا يقف إحساس الصّوفيّة بالجمال عند حدود العالم الحيّ، بل تسمو حواسّهم إلى عالم إلهيّ نورانيّ مقدَّس تتمثّل فيه كلّ القيم الفاضلة والأبديّة الخالدة، ويتلاشى كلّ جمال إزاء هذا الجمال الإلهي المنبثق عن الذّات الإلهيّة، حيث يرى بعضهم أنّ الصّورة الجميلة المحسوسة المشاهدة على الأرض إنّما تفيض عن جمال الذّات الإلهيّة، ولذلك يستغرقون في تأمّل هذه الصّورة الجزئيّة، لا إعجاباً بها، بل لأنّها تدلّ على جمال الحقيقة الإلهيّة وتشير إليها3.

ويرى أبو حيّان التّوحيدي: (410/312هـ) أنّ صفات الله تعالى وأفعاله هي المثل الأعلى في الحسن، وأنّ الأشياء كلّها تستمدّ جمالها من تلك الصّفات والأفعال؛ لأنّها من الحسن في غاية لا يجوز أن يكون فيها وفي درجتها شيء من المستحسنات؛ لأنّها هي سبب حُسْن كلّ حسَن، وهي الّتي تفيض الحسن على غيرها، وإنّما نالت الأشياء كلّها الحسن والجمال منها وبها، فالجمال الإلهي مصدر الجمال الكلّي[4].

=محمّد عمّارة. الإسلام والفنون الجميلة، دار الشّروق، القاهرة، مصر، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ/1991م،ص118.

(1) ينظر: أبو ريّان، محمّد علي. فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، مرجع سابق، ص20.

(2) ينظر: المرجع السّابق، 20.

(3) ينظر: عيد سعد يونس. التّصوير الجمالي في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص46.

(4) ينظر: حسين الصّدّيق. فلسفة الجمال ومسائل الفنّ عند أبي حيّان التّوحيدي، مرجع سابق، ص93–94، رفاعي، أنصار محمّد عوض الله. "الأصول الجماليّة والفلسفيّة للفنّ الإسلامي"، مرجع سابق، ص365.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما أنّ أكثر المتصوّفين تحليلاً للجمال هو أبو حامد الغزالي(ت505هـ) في كتابه: إحياء علوم الدّين، حيث يفصّل أوّلاً القول في السّماع، ويبيّن أنّه يثمر حالة في القلب يسمّى الوجد، وأنّ الوجد يؤدّي إلى تحريك الأطراف بحركات غير موزونة تسمّى الاضطراب أو بحركات موزونة تسمّى التّصفيق والرّقص، ثمّ يبيّن أنّ كلّ سماع إنّما يتمّ عن طريق قوّة إدراك، وقوى الإدراك الحسيّة هي الحواسّ الخمسة، وأمّا القوى الباطنة فمنها قوّة العقل ومنها قوّة القلب، ولكلّ قوّة من هذه القوى تلذّذ بموضوعها إذا استحقّ الموضوع هذا الشّعور باللّذة، والشّعور باللّذة إنّما يتمّ بعد إدراك لما في الموضوع من جمال، فنميل إليه ونحبّه ونلتذّ به، يقول الغزالي متناولاً لمفاهيم الجمال وأنواعه وكنهه: ((واعلم أن كلَّ جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال، والله تعالى جميل يحبّ الجمال، ولكنَّ الجمال إن كان بتناسب الخلقة وصفاء اللون أدرك بحاسَّة البصر وإن كان الجمال بالجلال والعظمة وعلوّ الرّتبة وحسن الصّفات والأخلاق وإرادة الخيرات لكافة الخلق وإفاضتها عليهم على الدوام إلى غير ذلك من الصّفات الباطنة أدرك بحاسّة القلب، ولفظ الجمال قد يستعار أيضاً لها فيقال: إنَّ فلاناً حسن وجميل، ولا تراد صورته، وإنما يعني به أنَّه جميل الأخلاق محمود الصّفات حسن السّيرة حتّى قد يحبّ الرّجل بهذه الصّفات الباطنة استحساناً لها كما تحبّ الصّورة الظّاهرة))[1].

ثمّ يؤكّد الغزالي أن لا خير ولا جمال ولا محبوب في العالم إلاّ وهو حسنة من حسنات الله تعالى وأثر من آثار كرمه تعالى، وغرفة من بحر

(1) الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد. إحياء علوم الدّين، مرجع سابق، ج2، ص280.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجوده سواء أدرك هذا الجمال بالعقول أو بالحواسّ، وجماله تعالى لا يتصوّر له ثان لا في الإمكان ولا في الوجود[1].

من هنا يتّضح موقف الغزالي من مفهوم الجمال وتفسيره، حيث إنّه يربط سائر أنواع الجمال بالجمال الإلهي المطلق، وأنّ كلّ الجمالات ترتبط به لأنّها أثر من آثاره، وهذا يتّفق مع رأي أفلاطون السابق حينما ربط الجمالات الجزئيّة بالجمال بالذّات[2].

كما أنَّه جعل الجمال قسمين: جمالاً ظاهراً هو الجمال المحسوس الملموس الّتي يتمّ إدراكه بالحواسّ، وتتحدّد خصائصه في جميع الأشكال والصّور والأشياء المرئيّة بالعين، وجمالاً باطناً وهو أكثر اتّساعاً وعمقاً، ويتمّ إدراكه من خلال البصيرة الّتي يتميّز أصحابها بالفكر العميق والإحساس السّليم[3]، فقال: ((والصّورة ظاهرة وباطنة، والحسن والجمال يشملهما، وتدرك الصّور الظّاهرة بالبصر الظّاهر، والصّور الباطنة بالبصيرة الباطنة، فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها، ولا يلتذّ بها، ولا يحبّها ولا يميل إليها، ومن كانت الباطنة أغلب عليه من الحواسّ الظّاهرة كان حبّه للمعاني الباطنة أكثر من حبّه للمعاني الظّاهرة فشتّان بين من يحبّ نقشاً مصوّراً على الحائط لجمال صورته الظّاهرة وبين من يحبّ نبيّاً من الأنبياء لجمال صورته الباطنة))[4].

(1) ينظر: المرجع السّابق، ج2، ص280.

(2) ينظر: أبو ريّان، محمّد علي. فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، مرجع سابق، ص23.

(3) ينظر: رفاعي، أنصار محمّد عوض الله. "الأصول الجماليَّة والفلسفيَّة للفنّ الإسلامي"، مرجع سابق، ص353، عيد سعد يونس. التَّصوير الجمالي في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص33.

(4) الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد. إحياء علوم الدّين، مرجع سابق، ج4، ص300.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويصف الغزالي من يتوقف عند جمال الظّاهر بأنّه محبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات؛ لأنّه يظنّ أنّ الجمال هو جمال الشّكل فقط[1]، فيقول: ((اعلم أنَّ المحبوس في مضيق الخيالات والمحسوسات ربَّما يظنّ أنَّه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلقة والشَّكل وحسن اللَّون وكون البياض مشرباً بالحمرة وامتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان فإنَّ الحسن الأغلب على الخلق حسن الإبصار، وأكثر التفاته إلى صور الأشخاص، فيظنّ أنَّ ما ليس مبصراً ولا متخيَّلاً ولا متشكَّلاً ولا ملوَّناً مقدَّر، فلا يتصوَّر حسنه وإذا لم يتصوَّر حسنه لم يكن في إدراكه لذَّة، فلم يكن محبوباً، وهذا خطأ ظاهر؛ فإنَّ الحسن ليس مقصوراً على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة وامتزاج البياض بالحمرة))[2].

ومن علماء المسلمين الّذين تطرّقوا إلى موضوع الجمال الشّيخ ابن قيّم الجوزيّة الّذي بدأ من أعلى مستوى للجمال، وهو جمال الحقّ الّذي ليس كمثله شيء، فيقول: ((ومن أعزّ أنواع المعرفة معرفة الرَّبّ سبحانه بالجمال، وهي معرفة خواصّالخلق، وكلّهم عرفه بصفة من صفاته، وأتمّهم معرفة من عرفه بكماله وجلاله وجماله سبحانه، ليس كمثله شيء في سائر صفاته، ولو فرضت الخلق كلّهم على أجملهم صورة، وكلّهم على تلك الصّورة ونسبت جمالهم الظاهر والباطن إلى جمال الرَّبّ سبحانه، لكان أقلّ من نسبة سراج ضعيف إلى قرص الشَّمس، ويكفي في جماله أنَّه لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته ما انتهى إليه بصره من خلقه، ويكفي في جماله أنَّ كل جمال ظاهر وباطن في الدّنيا والآخرة فمن آثار صنعته، فما الظَّنّ بمن صدر عنه هذا

(1) ينظر: المرجع السّابق، ج4، ص298.

(2) ينظر: المرجع السّابق، ج4، ص298–299.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجمال، ويكفي في جماله أنَّه له العزَّة جميعاً والقوّة جميعاً والجود كله والإحسان كله والعلم كله والفضل كله، ولنور وجهه أشرقت الظلمات كما قال النَّبيّ في دعاء الطّائف:((أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة))[1].

ثمَّ ينتقل ابن قيّم الجوزيّة إلى مستوى آخر من الجمال، وهو الجمال المحسوس المنظور، فيؤكّد أنّ الله تعالى يحبّ أن يتجمّل له العبد بالجمال الظّاهر في الثّياب النّظيفة الجميلة، والجمال الباطن بالشّكر على النّعمة، ولمحبّة الله تعالى سبحانه للجمال جعل لعباده لباساً وزينة تجمل مظاهرهم المرئيّة[2]، كما يؤكّد ذلك ابن قيّم الجوزيّة بقوله: ((ولمحبَّته سبحانه للجمال أنـزل على عباده لباساً وزينةً تجمل ظواهرهم وتقوى تجمل بواطنهم، فقال: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ}[3]، وقال في أهل الجنَّة: {وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً}[4]، فجمَّل وجوههم بالنَّضرة وبواطنهم بالسّرور وأبدانهم بالحرير، وهو سبحانه كما يحبّ الجمال في الأقوال والأفعال واللّباس والهيأة يبغض القبيح من الأقوال والأفعال والثّياب والهيأة، فيبغض القبيح وأهله ويحبّ الجمال))[5].

(1) ابن قيّم الجوزيّة، أبو عبد الله شمس الدّين. الفوائد، بيروت، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 1393، 1973م، ص181–182.

(2)ينظر: رفاعي، أنصار محمّد عوض الله. "الأصول الجماليَّة والفلسفيَّة للفنّ الإسلامي"، مرجع سابق، ص378، محمّد عمّارة. الإسلام والفنون الجميلة، مرجع سابق، ص23–24.

(3) سورة الأعراف الآية: 26.

(4) سورة الإنسان الآيات: 11–12.

(5) ابن قيّم الجوزيّة، أبو عبد الله شمس الدّين. الفوائد، مرجع سابق، ص181–182.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثّالث: الرّبط بين الأخلاق والجمال من منظور إسلامي

كثيراً ما تستعمل كلمات: (الحقّ والخير والجمال) معطوفاً بعضها على بعض، وهي تمثّل القيم الّتي طالما سعى لها الإنسان حينما تصفو إنسانيّته[1]، وهناك ربط وثيق بين الأخلاق والجمال، حيث تعتبر الأخلاق الفاضلة من الجمال المعنوي، ويوصف صاحب الخلق الفاضلة دائماً بالجمال وحسن الخلق، كما بيّن ذلك الغزاليّ بقوله: ((فاعلم أنَّ الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات؛ إذ يقال هذا خلق حسن، وهذا علم حسن، وهذه سيرة حسنة، وهذه أخلاق جميلة، وإنَّما الأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والعفَّة والشَّجاعة والتَّقوى والكرم والمروءة وسائر خلال الخير وشيء من هذه الصّفات لا يدرك بالحواسّ الخمس، بل يدرك بنور البصيرة الباطنة، وكلّ هذه الخلال الجميلة محبوبة والموصوف بها محبوب بالطَّبع عند من عرف صفاته، وآية ذلك وأنَّ الأمر كذلك أنَّ الطّباع مجبولة على حبّ الأنبياء -صلوات الله عليهم- وعلى حبّ الصَّحابة -رضي الله تعالى عنهم- مع أنَّهم لم يشاهدوا))[2].

وتأسيساً على موقف الإسلام من الحسن والجمال يتحمل الآباء والمربّون تعميق هذا الشّعور في نفس الطّفل والناشئ وتحبيب الجمال إليهما، فإنَّ تربيته على تلك القيم تعني تربية الذَّوق والحسن الجمالي عندهما، وتهذيب سلوكهما وأخلاقهما والحسّ الوجداني لديهما وتعميق القدرة عندهما على التَّمييز بين الحسن والقبيح، والتَّفاعل مع الجمال المادّي والمعنوي.

كما ربط المعتزلة بين الأخلاق والجمال بالعقل وبالشّرع معاً، فما يكون حسناً في نظر العقل يكون حسناً في نظر الشّرع عندهم أيضاً، فالعقل عندهم

(1) الشّامي، صالح أحمد، الظّاهرة الجماليّة في الإسلام، مرجع سابق، ص63.

(2) ابن قيّم الجوزيّة، أبو عبد الله شمس الدّين. الفوائد، مرجع سابق، 184.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هو أساس القيمة الأخلاقية والجمالية، فكأنّنا بصدد موقف جمالي عقلي يطابق الحقّ بالجمال[1].

المبحث الثّاني: مفهوم الجمال في القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة

ببيان مفهوم الجمال من خلال القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة يتبيّن مفهومه في الإسلام، ولذا نحاول أن نأتي بكثير من الآيات والأحاديث الّتي يفهم منها معنى الجمال؛ حتّى يتبيّن بذلك حيويّة الإسلام وصلاحيّته لكلّ زمان ومكان.

المطلب الأوّل: مفهوم الجمال في القرآن الكريم

{أ} جمال القرآن الكريم:

القرآن الكريم نفسه كتاب أدب وبيان وبهاء وجمال في كلماته وعباراته وأسلوبه السّلس المتناسق المتوازن المتناسب، وقد وصفه منزله تعالى بأنّه أحسن الحديث، وهو يمثّل بحقّ ذروة الجمال، وقمّة الحسن في عالم البيان، وقد كان لروعته البيانيّة وحسنه الأخّاذ وجماله الفائق أثر بالغ في نفوس من كفروا به، حتّى وصفه الوليد بن المغيرة -وقد تأثر بجماله وروعته غاية التأثر- بقوله ((إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر))[2]؛ لأنّه احتكم إلى ضميره الجمالي الّذي أودعه الله

(1) ينظر: الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد، إحياء علوم الدّين، مرجع سابق، ج4، ص299.

(2) ينظر: الزّركشي، أبو عبد الله محمَّد بن بهادر بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن، بيروت، دار المعرفة، 1391هـ، ج2، ص104، الزّرقاني، محمَّد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، لبنان، دار المعرفة، 1416هـ، 1996م، ج1، ص150، و ج2، ص224، رفاعي، أنصار محمّد عوض الله. "الأصول الجماليَّة والفلسفيَّة للفنّ الإسلامي"، مرجع سابق، ص320.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى فيه، وقد سمعه الجنّ فقالوا: ((إنا سمعنا قرآنا عجبا))، فهل يعقل بعد هذا ألاّ يتحدّث القرآن الجميل عن الجمال؟!(1).

{ب} الألفاظ الدّالّة على الجمال في القرآن الكريم:

تحدّث القرآن الكريم عن الجمال بألفاظ وعبارات مختلفة وفي مواضيع شتّى، كما يتبيّن من هذا المطلب وغيره من مطالب هذا البحث.

فورد فيه ألفاظ: (الجمال)، و(الحسن)(2)، و(الزّينة)(3)، و(الزّخرف)(4)، و(الجميل)، و(البهجة)(5)، وهي مفردات عربيّة لها دلالاتها الواضحة على الجمال في المعاجم اللّغويّة، وفي كلام الله تعالى الّذي هو في ذروة الجمال.

(1) ينظر: المحص، عبد الجواد محمّد، الجمال في القرآن الكريم (مفهومه ومجالاته)، مرجع سابق، ص18–19.

(2) الحسن عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه، وذلك ثلاثة أضرب: مستحسن من جهة العقل، ومستحسن من جهة الهوى، ومستحسن من جهة الحسّ، والحسنة يعبر بها عن كل ما يسر من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله، وجمع الحسن محاسن. ينظر: أبو القاسم، الحسين بن محمَّد. المفردات في غريب القرآن، لبنان، دار المعرفة، ج1، ص118.

(3) الزّينة: ما يتزيّن به، يقال: زانه زيناً: جمّله وحسّنه، وزيّنه: زانه، والزّينة ذات صلة بالحسن والجمال وهو يلائم ما يوصف به الجمال. ينظر: الفيروزآبادي، مجد الدّين محمد بن يعقوب. القاموس المحيط، بيروت، مؤسّسة الرّسالة، ج1، ص1554، إبراهيم مصطفى وآخرون. المعجم الوسيط، دار الدَّعوة، د. ت، ج1، ص410.

(4) الزّخرف في الأصل هو الذّهب، ثمّ سمّي به كلّ زينة، ثمّ شبّه كلّ مموَّ مزوّر به، يقال: زخرف البيت: زيّنه، وأكمله، وزخرف الكلام: زيّنه. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج9، ص132، ابن سيدة المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، مرجع سابق، ص5، ص336–337، إبراهيم مصطفى وآخرون. المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج1، 391.

(5) البهجة: حسن اللّون وظهور السّرور. ينظر: أبو القاسم، الحسين بن محمَّد. المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ج1، ص63، السّجستاني، أبو بكر محمّد بن عزيز. غريب القرآن، دار قتيبة، 1416هـ/1995م، د. ت، ج1، ص125.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما أنّ هناك آيات كثيرة تبيّن مفهوم الجمال، كقوله تعالى: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ}[1]، وقوله تعالى في وصف البقرة التي أمر بنو إسرائيل بذبحها: {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ}[2]، وقوله تعالى في وصف الحدائق بأنّها: {ذَاتَ بَهْجَةٍ}[3].

وقوله تعالى: {تَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}[4]، وغير ذلك من الآيات التي ترى فيها ذكر الجمال، والبهجة، والزّينة التي تسرّ النّاظرين، وكلّها آيات توجّه الأنظار إلى الجمال في إبداع الكون؛ لنقدّره قدره، ونتأسّى به، وندرك أنّ الدّنيا يتجلّى فيها الجمال، ولولا إبداعها وجمالها لكانت نعمة ناقصة؛ إذ الجمال من تمام النّعمة بالشّيء.

فالجمال في نظر القرآن هو الحسن والإبداع والإتقان، كما في الآية التي تبدأ باسم من أسماء الله الحسنى وهو البديع: {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}[5].

{ت} جمال النّبات والحدائق في القرآن الكريم:

كلّ مخلوقات الله تعالى من النّبات والحدائق والأشجار والجبال مصادر للجمال والبهجة في الكون، وقد خلق الله تعالى الحدائق والنّباتات والأشجار بالإضافة إلى ما فيها من المنافع المادّية فإنّ فيها من جانب البهجة والسّعادة

(1) سورة الحجر الآية: 16.
(2) سورة البقرة الآية: 69.
(3) سورة النمل الآية: 60.
(4) سورة الحج الآية: 5.
(5) سورة البقرة الآية: 117.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والجمال وما يضفيه على النّفس والرّوح من استقرار وهدوء وتوافق نفسي[1].

فقد دعانا القرآن الكريم إلى النّظر والاستمتاع بالجمال، حتّى في الأشياء الّتي تشتهى وتؤكل كالنّخل والأعناب والزّيتون والرّمّان، فقال تعالى: {وَهُوَالَّذِىَ أَنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِى ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[2]، فقال في هذا الموضع: انظروا بعين مفتوحة وحسّ مستشرف للجمال، ولم يقل: كلوا مع أنّ النبات والثّمر والخضر والحبّ والأعناب والزّيتون المذكورة في الآية من المأكولات الشّهيّة؛ لأنّ المعرض هنا معرض الجمال المبثوث في هذه الكائنات الحيّة، والعبرة بقدرة المبدع المطلق، كما أنّه مجال تدبّر آيات الله تعالى، والمجالان يقتضيان النّظر بالحسّ البصير، والقلب اليقظ إلى ثمر النّبات إذا أثمر في ازدهاره نظر استمتاع بالجمال ونظر استدلال على وجود الخالق وقدرته[3].

وحينما يدعونا القرآن إلى النّظر في مشاهد الطّبيعة حولنا؛ لنقف على جميل صنعه، ودلائل قدرته، لا يهمّش الاستمتاع بجمال صنعه أيضاً، كما في الآية السابقة الخامسة من سورة الحجّ، حيث فيها وصف بديع للطّبيعة في جمالها وحركتها ونبضها بالحياة بعد نـزول الغيث من السّماء، وفيها تدليل

(1) ينظر: رفاعي، أنصار محمّد عوض الله. "الأصول الجماليَّة والفلسفيَّة للفنّ الإسلامي"، مرجع سابق، ص329.

(2) سورة الأنعام الآية: 99.

(3) ينظر: المحص، عبد الجواد محمّد. الجمال في القرآن الكريم (مفهومه ومجالاته)، مرجع سابق، ص25، محمّد عمّارة. الإسلام والفنون الجميلة، مرجع سابق، ص19، محمّد قطب. منهج الفنّ الإسلامي، بيروت، دار الشّروق، د. ت، ص27، رفاعي، أنصار محمّد عوض الله. "الأصول الجماليَّة والفلسفيَّة للفنّ الإسلامي"، مرجع سابق، ص330.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على قدرة الله تعالى الخارقة، وعلى بعثة الحياة في الأرض اليابسة بماء ينـزله من السّماء فإذا بها تهتزّ وتربو وتنبت من كلّ زوج بهيج، وفي هذا تجسيد حيّ لقدرته –سبحانه- على إحياء الموتى[1].

{ث} جمال الكون في القرآن الكريم:

خلق الله تعالى هذا الكون الواسع بنظام دقيق ينظّم حركته، ويقوم على مقوّمات وسمات هي الدّقة والتّناسق، والتّوازن، والتّناسب، وهي كلّها مقوّمات الجمال ومقاييسه وسماته[2].

وتناول القرآن الكريم الطّبيعة في كثير من آياته، حيث عرض كثيراً من مشاهدها، ولفت النّظر إلى كثير من دقائقها، ووضع الأيدي والأنظار على ما خفي من جمالها، فإذا كان القرآن الكريم المنـزل يأخذ بيد الإنسان ليوصله إلى الله الواحد الأحد، فإنّه يلفت النّظر أيضاً إلى كتاب آخر جميل مفتوح وهو الكون[3]، فالنّاظر في هذا العالم الكوني الفسيح يدرك بسرعة أن الإنسان يعيش في فضاء فنّي وبيئة واسعة بهية هي آيةمن الجمال بدءً بالأرض حتى أركان الفضاء الممتدة بجمالها الزاخر في المجهول تسير في رونق الغرابة الزاهي إلى علم الله المحيط بكل شيء ومن ذلك قوله سبحانه عن السّماء: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ}[4]، فهذه اللّفتة القرآنيّة توحي بأنّ الجمال هو مقصود الخالق تعالى من خلق هذا الكون الواسع، وليست الضّخامة ولا الدّقة

(1)ينظر: المحص، عبد الجواد محمّد، الجمال في القرآن الكريم (مفهومه ومجالاته)، مرجع سابق، ص24، محمّد عمّارة. الإسلام والفنون الجميلة، مرجع سابق، ص26.

(2)ينظر: عيد سعد يونس. التّصوير الجمالي في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص61–62.

(3)ينظر: الشّامي، أحمد الشّامي. ميادين الجمال في الظّاهرة الجماليّة في الإسلام الطّبيعة – الإنسان – الفنّ، بيروت، المكتب الإسلامي، 1408هـ، 1988م، ص49.

(4) سورة الحجر الآية: 16.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحدها[1]، وأنّ الغاية من الزّينة هي استمتاع العين برؤيتها[2]، وجعل الأرض الحية تتنفس بالجمال نِعَماً لا تحصى ولاتنتهي: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[3].

كما اعتنى القرآن الكريم بجمال الطّبيعة حتّى امتدّت إلى أسماء سوره، كسور: (التّين، والنّجم، والقمر، والشّمس، والفجر. . . ونحوها)، وفضلاً عن ذلك نجد فيه سورة باسم (الزّخرف) الذي يعني الزّينة وكمال حسن الشّيء[4].

وأرشد ذوق الإنسان إلى تبين معالم هذا الجمال في كل شيء، قال تعالى: {وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ}[5].

ونحن نشعر بجمال الأرض حينما نتأمّل وصف القرآن لها من تضاريسها، وبحارها، وأشجارها، وأنهارها، وشلالات تنساب سيولها على الصّخر على أنغام موسيقى تطرب الآذان، وسماء زرقاء وطيور تحلق في جوّ السّماء، ثمّ بفضائها الرّحب الفسيح بما يملأ ذلك كلّه من حركة الحياة والنّشاط الإنساني بكلّ صوره، مسخّرة بين يدي الإنسان بكلّ هذا الجمال لتصريف العمر كأعلى ما يكون من الذّوق، وأجمل ما تكون الحياة، قال تعالى: {الَّذِي

(1) ينظر: سيّد قطب. في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشّروق، 1425هـ/2004م، ج4، ص2133.

(2) ينظر: الشّامي، صالح أحمد. مرجع سابق، ص80.

(3) سورة الأعراف الآية: 32.

(4) ينظر: المحص، عبد الجواد محمّد. الجمال في القرآن الكريم (مفهومه ومجالاته)، مرجع سابق، ص29.

(5) سورة النحل الآيات: 5-6.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ}[1]، فالقرآن لا ينفي الخلل عن السّماء فحسب، بل يتحدّى النّاظرين. فالانسجام في الكون هو سرّ جماله، وقد صوّر الله تعالى هذا الجمال بقوله: {وَهُوَ الَّذِيَ أَنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[2]، وبقوله: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}[3].

فهذا الجمال الحيّ المتجدّد يربّي في الإنسان الذّوق الإنسانيّ على جماليّة التّوحيد ممّا تعجز الأقلام والألوان عن تجسيد هذه الصّورة الحيّة النّابضة، وأيّ ريشة في الأرض قادرة على رسمها؟

ويوجّه القرآن النّظر إلى جمال الكون والسّموات من خلال النّظر والتّذوق العابر الّذي يستتبعه الإحساس بجمال الشّكل الّذي يضيء الذّهن ويوقظ الحواسّ ومنافذ الرّوح من خلال صور جماليّة كونيّة كما في قوله تعالى: {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظاً مّن كُلّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ}[4]، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ}[5]؛ لأنّ إدراك جمال الوجود هو أقرب وأصدق وسيلة لإدراك جمال خالق الوجود، وذكر القرآن –هنا- أنّ المصابيح الّتي زيّن الله تعالى بها السّماء الدّنيا لها

(1) سورة الملك الآية: 3.
(2) سورة الأنعام الآية: 99.
(3) سورة فاطر الآيات: 27–28.
(4) سورة الصافات الآيات: 6–7.
(5) سورة الملك الآية: 5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وظيفتان: وظيفة جمالية، ومشهد النّجوم في السّماء جميل جمالاً يأخذ بالقلوب، وهو جمال متجدّد تتعدّد ألوانه بتعدّد أوقاته.

والوظيفة الثّانية هي رجم الشّياطين في صورة شهب تحفظ السّماء من كلّ شيطان متمرّد وتدفعه عن الاستماع إلى ما يدور في الملأ الأعلى[1].

{ج} جمال الحيوانات في القرآن الكريم:

قال تعالى: {وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}[2]، استرعي تعالى انتباهنا في هذه الآيات إلى أنّه يمتنّ على عباده بهذه النّعم،فقد منّ بالتّجمّل بها، كما منّ بالانتفاع بها، فقال مرّة: [ولكم فيها جمال]، وقال مرّة: [لتركبوها وزينة]، كما يقول الزّمخشري: ((منّ اللّه بالتّجمّل بها كما منّ بالانتفاع بها؛ لأنّه من أغراض أصحاب المواشي، بل هو من معاظمها؛ لأنّ الرّعيان إذا روّحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزيّنت بإراحتها وتسريحها الأفنية وتجاوب فيها الثّغاء والرّغاء انست أهلها وفرحت أربابها وأجلتهم في عيون النّاظرين إليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه: {لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً}[3]، {يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا}[4]، فإن قلت: لم قدّمت الإراحة على التسريح؟ قلت: لأنّ الجمال في

(1) ينظر: المحص، عبد الجواد محمّد، الجمال في القرآن الكريم (مفهومه ومجالاته)، مرجع سابق، ص28–29، محمّد عمّارة. الإسلام والفنون الجميلة، مرجع سابق، ص18، محمّد قطب. منهج الفنّ الإسلامي، مرجع سابق، ص25–26، رفاعي، أنصار محمّد عوض الله. "الأصول الجماليَّة والفلسفيَّة للفنّ الإسلامي"، مرجع سابق، ص328.

(2) سورة النحل الآيات: 5–8.

(3) سورة النحل الآية: 8.

(4) سورة الأعراف الآية: 26.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون، حافلة الضّروع، ثمَّ أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها))[1]، وأنّ الجميل هو ما يعجب النّاظرين إليه، ويدخل السّرور على نفوسهم[2].

وأهل الرّيف يدركون هذا المعنى بأعماق نفوسهم ومشاعرهم أكثر ممّا يدركه أهل المدينة حينما يستمتعون بمنظرها فارهة رائعة صحيحة سمينة، وكذلك الأمر في الخيل والبغال والحمير؛ إذ فيها تلبية للضّرورة في الرّكوب، وتلبية لحاسّة الجمال في الزّينة[3].

ولا يخفى ما في هذه اللّفتة القرآنيّة من القيمة في نظرته للحياة حيث يعتبر الجمال عنصراً أصيلاً، ويعلّمنا أنّ النّعمة ليست مجرّد تلبية الضّرورات من طعام وشراب وركوب، بل تلبية الأشواق الزّائدة عليها من تلبية حاسّة الجمال ووجدان الفرح والشّعور الإنساني المرتفع على ميل الحيوان وحاجة الحيوان، فالجمال عنصر أصيل في بنية الكون والأحياء، وعنصر مطلوب ليستمتع به النّاس[4].

(1) الزّمخشري، جار الله محمود بن عمر. الكشّاف عن حقائق غوامض التّنـــزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، بيروت، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ج2، ص555–556.

(2) ينظر: المحص، عبد الجواد محمّد. الجمال في القرآن الكريم (مفهومه ومجالاته)، مرجع سابق، ص19–20.

(3) ينظر: سيّد قطب. في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج4، ص2161، المحص، عبد الجواد محمّد. الجمال في القرآن الكريم (مفهومه ومجالاته)، مرجع سابق، ص22.

(4) ينظر: سيّد قطب. في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج4، ص2161، المحص، عبد الجواد محمّد. الجمال في القرآن الكريم (مفهومه ومجالاته)، ص23، محمّد عمّارة. الإسلام والفنون الجميلة، مرجع سابق، ص18، محمّد قطب. منهج الفنّ الإسلامي، مرجع سابق، ص27.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

{ح} جمال الإنسان في القرآن الكريم:

عناية القرآن الكريم ببيان مفهوم الجمال لا تقف عند حدود إبراز ما في مشاهد الطّبيعة من جمال، وإنّما تمتدّ أيضاً إلى بيان الجمال في الإنسان، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ}[1]؛ إذ يبيّن تعالى أنّه خلق الإنسان على صورة جميلة سويّة معتدلة كاملة الشّكل والوظيفة، فمفهوم الجمال يبدو في تكوينه الجسدي والعقلي والرّوحي كما قال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[2]، فأشار تعالى بذكره صورة الإنسان في هذه الآية إلى أنّ تصويره بهذه الصّورة الجميلة له علاقة بالوسط: (السّماء والأرض) الّذي يعيش فيه، ويتأثّر به، ويؤثّر فيه[3].

ثمّ إنّ القرآن الكريم يبيّن بصراحة مفهوم الجمال الجسدي الظّاهري للعيان الّذي يعتبره النّاس جمالاً وحسناً في قصّة يوسف –عليه السّلام- حينما يذكر ذلك على ألسنة النّساء المصريّات اللّاتي لمّا رأينه حين خرج عليهنّ أعظمن شأنه، وأجللن قدره، وجعلن يقطعن أيديهنّ عجباً لرؤيته، وهنّ إنّما يظنن أنّهن يقطعن الأترج بالسّكاكين، وذكر القرآن الكريم قصّتهنّ بقوله: {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ}[4]،

(1) سورة الانفطار الآيات: 6-8.

(2) سورة غافر الآية: 64.

(3) ينظر: المحص، عبد الجواد محمّد. الجمال في القرآن الكريم (مفهومه ومجالاته)، مرجع سابق، ص31.

(4) سورة يوسف الآية: 31.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فتجسّد الآية جمال يوسف الأخّاذ الباهر، -الّذي أعطي شطر الحسن[1]، المعشوق العفيف الّذي بهر امرأة العزيز بجماله، وأدهش قلوب صاحباتها من نساء مصر[2].

{خ} جمال الأموال والأولاد في القرآن الكريم:

كما أنّ القرآن الكريم يعتبر الأموال وما ينتفع به في الحياة الدّنيا من الكماليّات جمالاً وإن كان الإنسان يستخدمها في بعض الأحوال للشّرّ والمعاصي، كما بيّن تعالى ذلك بقوله عن فرعون وقومه: {وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ}[3].

وكما بيّن الله تعالى ذلك بقوله: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}[4]، فسمّى تعالى ما على الأرض من الحيوان والنّبات والأشجار والأنهار وغير ذلك زينة[5].

وكذلك سمّى الله تعالى المال والبنين زينة في الحياة الدّنيا يتجمّل بهما الإنسان في الدّنيا، فقال تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}[6]، ففصّل الله تعالى في هذه الآية عنصرين من عناصر الزّينة في الدّنيا: المال والبنون، وفصّل

(1) النّيسابوري، مسلم بن الحجّاج (توفي261هـ). صحيح مسلم. مرجع سابق، باب"الإسراء برسول الله..."، رقم حديث 162، ج1، ص146.

(2) ينظر: المرجع السّابق، ص32-33.

(3) سورة يونس الآية: 88.

(4) سورة الكهف الآية: 7.

(5) ينظر: المحلّي، والسّيوطي. الجلالان، تفسير الجلالين بهامش القرآن الكريم، لبنان، دار إحياء التّراث العربي، ومؤسّسة التّاريخ العربي، 1420هـ/1999م، ص381، رفاعي، أنصار محمّد عوض الله. "الأصول الجماليّة والفلسفيّة للفنّ الإسلامي"، مرجع سابق، ص323.

(6) سورة الكهف الآية: 46.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تعالى عدّة عناصر أخرى في الدّنيا مزيّنة لدى الإنسان بالفطرة، فقال تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}[1]،[2].

ولكن ينبغي أن يعلم أنّ الجمال في الآيات ليس مطلقاً مجرّداً عن المعنى سوى ذات الجمال المحض، كمّا أفهمنا الله تعالى بعد أن جعل كلّ ما على الأرض زينة لها أنّ هناك سبباً جوهريّاً، وهو: لنبلوهم أيّهم أحسن عملاً، كما أنّ الله تعالى عندما ذكر (أنّ المال "والبنون" زينة الحياة الدّنيا) قد ألحق ذلك بقوله: {وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً}[3]، فالجمال ليس هدفاً لذاته، بل لما يقود إليه من رضوان الله تعالى، والعمل النّافع الصّالح الجميل[4].

{د} جمال اللّباس في القرآن الكريم:

كما أنّ القرآن الكريم يعتبر من الجمال والزّينة ما يعتبره النّاس جميلاً وحسناً من اللّباس، بل ويطلب منهم أن يتزيّنوا بما هو جميل عند دخولهم للمساجد، كما قال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ}[5].

فامتنّ الله تعالى في هذه الآيات على عباده بما جعل لهم من اللّباس والرّيش، والأوّل لستر العورات المكشوفة بدل قبح عريها، وبذلك يكون زينة، وهو من الضّروريّات، والثّاني للتّجمّل به والزّينة ظاهراً، وهو من المكمّلات

(1) سورة آل عمران الآية: 14.

(2) ينظر: رفاعي، أنصار محمّد عوض الله. "الأصول الجماليَّة والفلسفيَّة للفنّ الإسلامي"، مرجع سابق، ص323.

(3) سورة الكهف الآية: 46.

(4) ينظر: المرجع السّابق، ص322–323.

(5) سورة الأعراف الآية: 26.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والزّيادات، فدعت الآية وأوحت بأنّ ستر العورة، وزينة التّجمّل من أهداف الحكمة الإلهيّة وتمكين الإنسان من مادّة اللّباس وصناعته، ومن طلب التّقوى ومراعاة حقّ الله تعالى، فهناك تلازم بين اللّباس والتّقوى، فالأوّل يستر عورات الجسم ويزيّنه، والثّاني عورات القلب ويزيّنه[1].

وقال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}[2].

خاطب الله تعالى جميع بني آدم بالتّزيّن عند الحضور إلى المساجد؛ ليبدو في صورة جميلة وهيئة متناسقة تريحه نفسيّاً وتسرّ النّاظرين إليه؛ ولأنّ ستر عورة الإنسان بهذا اللّباس الإنساني يحفظ عليه كرامته ومكانته وتميّزه عن سائر الحيوانات، وأنّ اللّباس في حدّ ذاته هو شكل من أشكال الزّينة ممّا يؤكّد مبدأ مشروعيّة الزّينة والتّزيّن، كأنّ الله تعالى يحرص على أن يخلط المؤمن بين جمالي الدّين والدّنيا وأن يسير في موكب الجمال إلى الله تعالى؛ لأنّ التّزيّن والصّلاة كلاهما شكر لله تعالى، ودعوة القرآن الكريم لمطلق الإنسان هنا، وليس المسلمين فقط تنبيه على أنّ طلب الزّينة هو مقتضى الفطرة الّتي فطر الله تعالى النّاس عليها، وتصحيح للانحراف الّذي جعل العبادة رهبانية تدير الظّهر لصفات الحسن ومظاهر الجمال[3].

---

(1) ينظر: سيّد قطب. في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج3، ص1278، المحص، عبد الجواد محمّد، الجمال في القرآن الكريم (مفهومه ومجالاته)، مرجع سابق، ص33–35، الحلو، عبير أيّوب. زينة المرأة المسلمة وعمليّات التّجميل، أحكامها– تطبيقاتها، مرجع سابق، ص37.

(2) سورة الأعراف الآية: 31.

(3) ينظر: الحلو، عبير أيّوب. زينة المرأة المسلمة وعمليّات التّجميل، أحكامها– تطبيقاتها، مرجع سابق، ص38، محمّد عمّارة. الإسلام والفنون الجميلة، مرجع سابق، ص21–22، عيد سعد يونس. التّصوير الجمالي في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص64.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثمّ نجد القرآن الكريم يتوسّع في بيان مفهوم الجمال من صورة الإنسان إلى المكان وما فيه من المأكل والمشرب والملبس، وما يحيط به من القصور والخدم، وجميع الأشياء المباحة كالمعادن التي لم يرد نهي عن التّزيين بها والجواهر ونحوها، وأنّ الملبوس جملة ما تشمله الآية من المباحات، فلا حرج بلبسها إذا لم يكن ممّا حرّمه الله تعالى، ولا حرج على من تزيّن بشيء من الأشياء التي لها مدخل في الزّينة ولم يمنع منها مانع شرعي[1]، حينما قال تعالى: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[2]، وقال تعالى: {أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ}[3]، حيث تقرّر الآية مشروعيّة التّزيّن للنّساء؛ إذ أشارت إلى ما تحرص عليه النّساء من لبس للحلي وهو نوع من أنواع الزّينة[4].

وقال تعالى: {لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ}[5]، إذ تفيد الآية أنّه من حقّ النّساء أن يتزيّنّ بمختلف أنواع

(1) ينظر: الحلو، عبير أيّوب. زينة المرأة المسلمة وعمليّات التّجميل، أحكامها- تطبيقاتها، مرجع سابق، ص38.

(2) سورة الأعراف الآية: 32.

(3) سورة الزخرف الآية: 18.

(4) ينظر: القرطبي، أبو عبد اللّه محمّد بن أحمد الأنصاري. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، مصر، دار الشّعب، د. ت، ج16، ص71، البغوي، أبو محمّد الحسين بن مسعود الفرّاء. تفسير البغوي: (معالم التّنــزيل)، بيروت،دار المعرفة، د. ت، ج4، ص136، الرّازي، فخر الدّين محمّد بن عمر التّميمي الشّافعي. التّفسير الكبير: (مفاتيح الغيب)، لبنان، دار الكتب العلميّة، 1421ه،2000م، ج27، ص174، الحلو، عبير أيّوب. زينة المرأة المسلمة وعمليّات التّجميل، أحكامها- تطبيقاتها، مرجع سابق، ص38.

(5) سورة النور الآية: 31.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الزّينة، تلبية لفطرتها، فهي حلال لها؛ لأنّها مولعة بأن تكون جميلة، ولكن لا تبدي هذه الزّينة إلاّ لمن أحلّ له ذلك من الأزواج والمحارم[1].

{ذ} جمال الجنّة في القرآن الكريم:

كما يتحدّث تعالى عن الجنّة ونعيمها، فيقول تعالى في تصوير منظر المتّقين يوم القيامة: {هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ}[2]، فيذكر جنّات مفتّحة لهم الأبواب، وراحة في الاتّكاء، ومتعة في الطّعام والشّراب، وحوريات فائقات الجمال.

ومن هذا المشهد القرآني لنعيم الجنّة يبدو معالم جمالها الآسر، وحسنها الأخّاذ الذي يصدق فيه إطلاق ابن قيّم عليها: بلاد الأفراح في كتابه: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح[3].

ويقول تعالى في جمال وجوه أصحابها: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}[4]، ويقول تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ}[5]، ويقول تعالى:

(1) ينظر: الزّمخشري، جار الله محمود بن عمر. الكشّاف عن حقائق غوامض التّنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، مرجع سابق، 3، 235، الرّازي، فخر الدّين محمّد بن عمر التّميمي الشّافعي. التّفسير الكبير: (مفاتيح الغيب)، مرجع سابق، ج23، ص179، الحلو، عبير أيّوب. زينة المرأة المسلمة وعمليّات التّجميل، أحكامها- تطبيقاتها، مرجع سابق، ص38-39.

(2) سورة ص الآيات: 49-54.

(3) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح كتاب لشمس الدّين محمّد بن قيّم الجوزيّة الحنبلي أبي عبد الله محمّد بن أبي بكر أيوب الزّرعي: (ت751هـ)، تتحدّث عن الجنّة ونعمها وأهلها، وهو مختصر على سبعين باباً كلّها في الأخرويّات. ينظر: الرّومي الحنفي، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني. كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الكتب العلميّة، 413هـ، 1992م، ج1، ص623.

(4) سورة القيامة الآيات: 22-23.

(5) سورة عبس الآيات: 38-39.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[1].

ويصوّر لنا تعالى لوحات الحسن والجمال في كلّ مكان من الجنّة بقوله: {وحورٌ عينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً}[2].

وقوله تعالى: {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً}[3].

وقوله تعالى: {وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً}[4].

ويقول تعالى عن جمال الأنهار: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ}[5].

وغير ذلك من الآيات التي تصوّر جمال الجنّة وحسنها وما فيها من نعيم لا يزول[6].

(1) سورة يونس الآية: 39.
(2) سورة الواقعة الآيات: 22–26.
(3) سورة الإنسان الآيات: 19–21.
(4) سورة الإنسان الآيات: 15–18.
(5) سورة محمد الآية: 15.
(6) ينظر: المحص، عبد الجواد محمّد، الجمال في القرآن الكريم (مفهومه ومجالاته)، مرجع سابق، ص36–38.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا الحديث عن الجنان وجمالها ينبغي أن يستلهم المسلمون منه صناعة جنان على الأرض؛ لأنّ الإسلام دين العمل والبناء، فالمتوقع أن يحوّل لذّة السّماع إلى لذّة البناء.

{ر} الجمال المعنوي في القرآن الكريم:

لم يقتصر القرآن الكريم في عنايته بمعالم الحسن والجمال في الدّنيا والآخرة على الجمال الحسّي الّذي يدرك بالأبصار، بل امتدّت عنايته إلى الجمال المعنوي الّذي يزيد الإنسان جمالاً فوق جماله.

ويراد بالجمال المعنوي: جمال الخلق والسّجيّة والسّلوك، حيث إنّ القرآن الكريم مليء بالآيات الّتي تحضّ على التّخلّق بالأخلاق الكريمة، والخصال الحسنة، والسّيرة الجميلة، والسّلوك الطّيّب في التّعامل مع الآخرين.

من هذه الآيات قوله تعالى لرسوله وأتباعه: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً}[1]، فالجميل هنا هو الّذي لا عتاب معه ولا غضب، فما أروعها من دعوة إلى الهجر الجميل!.

فقد أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أحد أولي العزّم في مواجهة منكري البعث، أو على الأقلّ من يستبعدون البعث وهو يدعوهم يريد أن يحجزهم من النار وهم يتهاوون النار تهاوي الفراش، فجاء الصبر بهيئة الأمر بقوله الكريم في قوله تعالى: {فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً}[2]، والنبي العظيم -عليه الصَّلاة والسَّلام- يصبر على أذى قوم تحجرت قلوبهم وطمست بصائرهم وعميت أفئدتهم ولا ينتظر منهم أن يكافئوه على هذا الصبر على أذاهم بل سيزيد أذاهم إلى حد

(1) سورة المزمل الاية: 10.

(2) سورة المعارج الآية: 5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القتال والمواجهة، فوصف عزّ وجلّ الصبر بالصبر الجميل، الصبر الذي بلا شكوى[1].

أمَّا الهجر الجميل، فهو الهجر الّذي لا يصاحبه أذى من الهاجر للمهجور ولو كان الهجر بسبب خصومة لدود، فأمر تعالى رسوله محمَّداً -عليه الصلاة والسلام - أن يهجر الكفّار الهجر الجميل دون أن يذكّرهم بسوء إلا أن يزجي النُّصح لهم بعد أن أمره -عزّ وجلّ- بالصَّبر على أفعالهم فيصبح صبره عليهم صبراً جميلاً، وهجره لأفعالهم ومكرهم إلى درجة عدم سبِّ ألهتهم الّتي يعبدونها من دون الله تعالى، يقول تعالى: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً}[2].

وقد يسبّب راحةً نفسيَّةً، وقد يحوّل العدوَّ إلى صديق، والكافر إلى مؤمن والعاصي إلى مطيع، وهو مرادف للدَّفع بما هو أحسن في بعض الوجوه قال - جلّ شأنه-: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ}[3]،[4].

وقال تعالى على لسان يعقوب: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}[5]، فأعلمنا الله تعالى أنّ الجمال لا يتحقّق الشّكل من خلال النّظر فقط، بل يتحقّق

(1) ينظر: رفاعي، أنصار محمّد عوض الله. "الأصول الجماليَّة والفلسفيَّة للفنّ الإسلامي"، مرجع سابق، ص326.

(2) سورة المزمل الآية: 10.

(3) سورة فصلت الآيات: 34-35.

(4) ينظر: السّامرّائي، محمّد رجب. أسماء في القرآن الكريم، لبنان، دار البشائر الإسلاميّة، 1426هـ/2005م، ص30.

(5) سورة يوسف الآية: 18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من خلال المضمون المتمثل في الأخلاق الجميلة التي يجب أن تتسم بالجمال، فالصّبر يجب أن يكون جميلاً مهما كانت المصيبة[1].

وقال مرّة أخرى: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}[2]، وكان وصف الصّبر بالجمال هنا مقصوداً؛ إذ لا أثر له إذا فقد منه الجمال، وتكريره مرّتين زيادة في التّأكيد على حتميّة الجمال فيه، وتنبيه على أنّ الصّبر الحقيقيّ عند الصّدمة الأولى، والخالي تماماً من الفزع والجزع والشّكوى، والمقرون دائماً بالاستعانة بالله تعالى على ما يلقى المرء من نوائب الزّمان.

والهجر الجميل نوع من أنواع العزّلة التي يأمن فيها المرء من شرور المجتمع، وقد تكون العزّلة علاجا وإقناعا، علاجا من أذى الخلق، وامتناعا من سوء فعل سفهائهم، كما أنّ أهل الكهف اعتزلوا المجتمع وآووا إلى الكهف فأعقبهم الله القدير بنشر الدعوة والنصر، وهيأ لهم من أمرهم رشداً.

وقد يلتزم الصافح بطيّ ثوب النّسيان عمَّا مرَّ، ويلتزم المصفوح عنه بالتوبة والاعتدال والامتثال لأمر الله، مثال ذلك موقف النَّبيّ الهادي الأمين من أهل مكَّة حين فتحها سنة ثمان من الهجرة، ووقف من حوله من أهل مكة، ووقفت قريش كلّها تنتظر ماذا سيكون الأمر، فقال رسول الله ﷺ: ((اذهبوا فأنتم الطلقاء))[3].

(1) ينظر: رفاعي، أنصار محمّد عوض الله. "الأصول الجماليَّة والفلسفيَّة للفنّ الإسلامي"، مرجع سابق، ص326.

(2) سورة يوسف الآية: 83.

(3) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (توفّي 358هـ). سنن البيهقي الكبرى. مكّة المكرّمة: مكتبة دار الباز، د. ط، 1414هـ/1994م، جماع "أبواب السّير"، باب "فتح مكّة حرسها الله"،حديث رقم 18055، ج9، ص118.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويدلّ الصفح الجميل على نقاء القلب، وصفاء السريرة وشدّة الإيمان وقوّته، كما يدلّ على كريم الخلق، وعظيم الفضل وعلوّ النَّفس وقوَّة الشَّخصيّة[1].

وكرَّر النَّبيّ يعقوب- عليه السلام - لأبنائه إعلانه بأنّهم تعدَّوا بما سوَّلت لهم أنفسهم وأنَّه لا يملك إزاء هذا سوى الصَّبر مستعيناً بالله الواحد داعياً إيّاه أن يأتيه بأحبابه الغائبين لا كشفاً لأمر أبنائه ولكن ترضية لنفس أبيهم فلنستمع لقوله عزّ وجلّ: {وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}[2]،[3].

وجاء في تشريع رباني موجّه إلى المجتمع المؤمن ليقرّر حقّ المطلّقة الّتي لم يدخل بها ووجوب تسريحها تسريحاً جميلاً أي تطليقها، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً}[4]، فالصّفح والتّسامح والطّلاق يتمّ في إطار الجمال، فلنمتثل لقول الله تعالى ولنصبر صبراً جميلاً ونهجر هجراً جميلاً ونتعود الصفح الجميل وأن نشيد بالجَمَال، فإنّ الله جميل يحب الجمال[5].

(1) ينظر: السّامرّائي، محمّد رجب. أسماء في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص30.

(2) سورة يوسف الاية: 18.

(3) ينظر: المرجع السّابق، ص31.

(4) سورة الأحزاب الآية: 49.

(5) ينظر: السّامرّائي، محمّد رجب. أسماء في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص31، رفاعي، أنصار محمّد عوض الله. "الأصول الجماليَّة والفلسفيَّة للفنّ الإسلامي"، مرجع سابق، ص327.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا هو الجمال في نظر القرآن الكريم بشقّيه الحسّيّ والمعنوي[1]، فالجمال الحسّيّ في نظر الإسلام لا بدّ أن يكون مرتبطاً بالجمال المعنوي، وحينما يكون الجمال الحسيّ فارغاً من الجمال المعنوي، فإنّ الإسلام لا يعتبره جميلاً بل يجعله محلّ الذمّ وسبباً للعقوبة في الدّنيا والآخرة، كما إذا ما كان الجمال سبباً للتّكبّر على الآخرين، كما قال تعالى: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}[2]، وكما يجسّد لنا تعالى ذلك في قصّة قارون، ويقول بعد ذكر القصّة: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}[3]،[4].

ووصف الله تعالى الخلق النّفسيّة كالصّبر والصّفح بالجمال حتّى في المعاملة في تسريح النّساء وفي هجر المؤذين، فقال تعالى: {فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً}[5]، وقال تعالى: {وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ}[6]، وقال تعالى: {وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}[7]، وقال تعالى: {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ}[8]، وقال تعالى: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً

(1) ينظر: المحص، عبد الجواد محمّد، الجمال في القرآن الكريم (مفهومه ومجالاته)، مرجع سابق، ص38–40.

(2) سورة لقمان الآية: 18.

(3) سورة القصص الآية: 83.

(4) ينظر: عبد الحكيم العبد، الجمال في القرآن الكريم مدخل وأطر، د. ن، 1425هـ، 2005م، ص24.

(5) سورة المعارج الآية: 5.

(6) سورة الحجر الآية: 85.

(7) سورة يوسف الآية: 18.

(8) سورة يوسف الآية: 83.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جَمِيلاً}[1]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً}[2]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً}[3]، كما سبق ذكر بعض من هذه الآيات.

المطلب الثّاني: مفهوم الجمال في السّنّة النّبويّة

ورد في السّنّة النّبويّة عدّة أحاديث في بيان مفهوم الجمال وما يراد به في الإسلام، منها:

[1] عن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: ((لا يدخُلُ الجنَّة من كان في قلبه مثقالُ ذرَّة من كِبْرٍ، قال رجلٌ: إنَّ الرَّجلَ يحبُّ أن يكون ثوبُهُ حسناً، ونعلُهُ حسنةً، قال: إنّ الله جميلٌ[4]، يحبّ الجمال، الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ، وَغَمْطُ[5] النّاس))[6].

(1) سورة المزمل الآية: 10.

(2) سورة الأحزاب الآية: 28.

(3) سورة الأحزاب الآية: 49.

(4) اختلف العلماء في معناه بالنّسبة إلى الله تعالى، فقال البعض: أي حسن الأفعال كامل الأوصاف، وقيل: وقيل: أي مجمّل، وقيل: جليل، وقيل: مالك النّور والبهجة، وقيل: جميل الأفعال بكم والنّظر إليكم. ينظر: المباركفوري، أبو العلا محمّد عبد الرّحمن بن عبد الرّحيم. تحفة الأحوذي بشرح جامع التّرمذي، لبنان، دار الكتب العلمية، د. ت، ج6، ص116.

(5) بفتح الغين المعجمة وإسكان الميم والطّاء المهملة وهو احتقار النّاس. ينظر: اليحصبي، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي المالكي. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة، د. ت، ج2، ص135، الجزري، أبو السّعادات المبارك بن محمّد. النّهاية في غريب الحديث والأثر، لبنان، المكتبة العلميّة، بيروت، 1399هـ، 1979م، ج3، ص387.

(6) النّيسابوري، مسلم بن الحجّاج (توفي261هـ). صحيح مسلم. مرجع سابق،كتاب"الإيمان"، باب"تحريم الكبر وبيانه"، رقم حديث 91،، ج1، 93.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي رواية صحيحة أخرى: ((إنّ الله جميلٌ، يحبّ الجمال، ويحبّ أن يرى أثر نعمته على عبده، ويبغض البؤس والتّباؤس[1]))[2].

فالحديث يدعو إلى التّحلّي بالجمال من خلال تصحيح النّبيّ لهذا الصّحابيّ الّذي ظنّ نفسه بحبّه للجمال، أنّه واقع في الكبر[3]، كما أنّه دليل على أنّ الجمال محبَّب إلى النّفوس، مغروس فيها، وعلى طلب حسن التّجمّل بالوجه المشروع، إذ ميّز الإسلام بين طلب الجمال والاستمتاع به عندما يكون شكراً لله تعالى وابتهاجاً بنعمه، وبين طلبه ليتعظّم به على صاحبه، وهو الكبر الّذي نهى عنه الإسلام، فالأوّل محمود ومطلوب عندما يكون بعيداً عن تسفيه الحقّ وازدراء النّاس، ولو بلغ حدّ التّنافس في الاتّصاف بصفات الجمال[4].

فالإنسان مدعو إلى التّخلّق بأخلاق الله تعالى، فإذا كان الجميل من أسماء الله تعالى فإنّ الإنسان مدعو إلى الاتّصاف بالجمال في الفعل وفي الخلق، وإلى تنمية إحساسه بالجمال الّذي أودعه الله تعالى في هذا الكون[5].

(1) البؤس: الخضوع والذّلّة ورثاثة الحال: أي إظهار ذلك للنّاس، والتّباؤس: إظهار التّمسكن حتّى لا يؤدّي ذلك إلى احتقار النّاس له. ينظر: المناوي، عبد الرّؤوف. فيض القدير شرح الجامع الصّغير، مصر، المكتبة التّجارية الكبرى، 1356هـ، ج1، ص235.

(2) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (توفّي 358هـ)، تحقيق: محمّد السعيد بسيوني زغلول. شعب الإيمان، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط1، 1410هـ، فصل "فيمن كان متوسّعاً فلبس ثوبا حسنا..."، حديثرقم 6201، ج5، ص163.

(3) ينظر: عبد الغفور، محمّد أحمد. الجمال في ضوء السّنّة النّبويّة دراسة موضوعيّة، مرجع سابق، ص6.

(4) ينظر: العسقلاني الشّافعي، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر توفي (852هـ). فتح الباري شرح صحيح صحيح البخاري، لبنان، دار المعرفة، ج10، ص260، محمّد عمّارة. الإسلام والفنون الجميلة، مرجع سابق، ص24-25.

(5) ينظر: المرجع السّابق، ص20-21.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[2] عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((من كان له شعرٌ، فَلْيُكْرِمْهُ))[1].

فالحديث دليل على حسنترجيل الشّعر ودهنه، وتزيينه وتنظيفه والعناية به، وإكرامه والاعتناء به، ولا يتركه حتّى يتلبّد؛ لأنّ حسن المنظر محبوب[2].

[3] ((ورجلٌ طلبته امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ، فقال: إنّي أخاف الله))[3]، فنصَّ الحديث على الاعتبار بالجمال الظّاهري عند النّاس وواقعيّة ذلك.

وقد دلَّ قوله تعالى عن طالوت: {قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[4]، على أنّ جمال الجسم والهيئة والمنظر ينظر إليه بعين الاعتبار.

(1) السّجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث (توفّي275هـ). سنن أبي داود، تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد. دمشق: دار الفكر، د. ط، د. ت، كتاب"التّرجّل"، باب"في إصلاح الشّعر"، حديث رقم 4163، ج4، ص76.

(2) ينظر: العظيم آبادي، محمّد شمس الحقّ. عون المعبود شرح سنن أبي داود، لبنان، دار الكتب العلميّة، 1995م، ج11، ص147، المناوي، عبد الرّؤوف. فيض القدير شرح الجامع الصّغير، مرجع سابق، ج6، 208، القاري، علي بن سلطان محمَّد. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لبنان، دار الكتب العلميَّة، 1422هـ، 2001م، ج8، ص292، الحلو، عبير أيّوب. زينة المرأة المسلمة وعمليّات التّجميل، أحكامها– تطبيقاتها، مرجع سابق، ص42.

(3)البخاري، الإمام محمّد بن إسماعي (توفّى 256 هـ). صحيح البخاري (الجامع الصّحيح المختصر)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، اليمامة، بيروت: دار ابن كثير، ط3، 1407هـ/1987م، كتاب "الجماعة والإمامة"،باب"من جلس في المسجد. "، حديث رقم 628، ج1، ص234، النّيسابوري، مسلم بن الحجّاج (توفي261هـ). صحيح مسلم. مرجع سابق،كتاب"الزّكاة"، باب "فضل إخفاء الصّدقة"، رقم حديث 103، ج2، ص715.

(4) سورة البقرة الآية: 247.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[4] عن أبي هريرة أيضاً أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((تنكحُ المرأةُ لأربعٍ: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفرْ بذاتِ الدِّين تربتْ يداك))[1].

والجمال المطلوب في الحديث هو أن تكون المرأة جميلة، حسنة الوجه؛ لتحصل بها للزَّوج العفَّة، ويتمَّ الإحصان، وتسعد النَّفس، ومن هنا كانت نساء الجنَّة اللاتي جعلهنَّ الله تعالى جزاء للمؤمنين المتقين من الحور العين، كما قال تعالى: {إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ}[2]، وقال عنهنَّ القرآن في آية أخرى: {وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ}[3].

ويؤخذ من الحديث استحباب تزوّج الجميلة إلاّ إن تعارضت الجميلة غير الديّنة وغير الجميلة الدّيّنة، نعم لو تساوتا في الدّين فالجميلة أولى[4].

[5] عن أبي هريرة، قال: قيل لرسول الله ﷺ: أيُّ النِّساء خيرٌ؟ قال: ((الّتي تسرُّه إذا نظر، وتطيعه إذا أمرَ، ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره))[5].

---

(1)البخاري، الإمام محمّد بن إسماعي (توفّي 256 ه). صحيح البخاري (الجامع الصّحيح المختصر)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، اليمامة، مرجع سابق، كتاب "النّكاح"، باب "الأكفاء في الدّين"، حديث رقم 4802، ج5، ص1985، النّيسابوري، مسلم بن الحجّاج (توفي261ه). صحيح مسلم. مرجع سابق، كتاب "الرّضاع"، باب "استحباب نكاح ذات الدّين"، رقم حديث 1466، ج2، 1086.

(2) سورة الدخان الآيات: 51–54.

(3) سورة الواقعة الآيات: 22–23.

(4) ينظر: العظيم آبادي، محمّد شمس الحقّ. عون المعبود شرح سنن أبي داود، مرجع سابق، ج6، ص31.

(5) النّسائي، أحمد بن شعيب. السنن الكبرى، تحقيق: د. عبد الغفّار سليمان البنداري،وسيد كسروي حسن. السنن الكبرى. بيروت: دار الكتب العلميّة، ط1، 1411ه/1991م، كتاب "النّكاح"، باب "أيّ النّساء خير"، حديث رقم 5343، ج3، ص271.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[6] عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: كنتُ عِنْدَ النَّبيّ ﷺ فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً من الْأَنْصَارِ، فقال له رسول اللَّهِ ﷺ: أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا؟ قال: لا، قال: فَاذْهَبْ، فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فإنَّ في أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شيئاً[1]))[2]، ولا بدّ أن يكون الدّين مقروناً بالجمال؛ فإنّ الجمال وحده بالنِّسبة للمرأة ما لم يكن محصناً بالنَّشأة الدّينية، والتربية القويمة، والأصل العريق، قد يصبح وبالاً عليها، إذ يغري الفسَّاق بالطَّمع فيها، ويهون عليها التَّفريط بشرفها، ممّا يؤدّي بها إلى التردّي في هوة الفاحشة دون مبالاة بما يعود على الأسرة من دمار، وما يلوّث سمعتها من عار وشنار[3]، والنّظر في الخطبة يكون إلى الوجه؛ إذ لاشكَّ أنَّ زينة المرأة وجمالها الباطن في وجهها، الذي هو مجمع المحاسن فيها، ولم يرخّص الله ولا رسول الله ﷺ لغير المحارم برؤيته إلا الخاطب، وهذا ممَّا يدعو إلى إدراك الحكمة في التَّشريع في اعتبار الوجه هو المقصود بالحجاب[4].

[7] عن ابن عُمَرَ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيَّرَ اسْمَ عَاصِيَةَ، وقال: ((أَنْتِ جَمِيلَةٌ))[5].

(1) ممّا ينفر عنه الطّبع، ولا يستحسنه، فقيل: هو العمش، وقيل: الصّغر، وقيل: زرقة. ينظر: العسقلاني الشّافعي، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج9، ص181، القاري، علي بن سلطان محمَّد. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، مرجع سابق، ج6، ص251.

(2) النّيسابوري، مسلم بن الحجّاج (توفي261هـ). صحيح مسلم. مرجع سابق، كتاب "النّكاح"، باب "استحباب التّزوّج والتّزويج"، رقم حديث 1424، ج2، ص1040.

(3) ينظر: الصّياصنة، مصطفى عيد. أسس اختيار الزّوجة، مجلّة البحوث الإسلاميّة، عدد21، ص327-328.

(4) ينظر: الشّويعر، محمّد سعد. الحجاب الشّرعي للمرأة المسلمة، مجلّة البحوث الإسلاميّة، عدد52، ص57.

(5) النّيسابوري، مسلم بن الحجّاج (توفي261هـ). صحيح مسلم. مرجع سابق، كتاب "الآداب"، باب "استحباب تغيير الاسم"، رقم حديث 2139، ج3، 1686.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غيّر ﷺ اسمها؛ لأنّ شعار المؤمن الطّاعة والعصيان ضدّها، ولم يسمّها مطيعة مع أنّها ضدّ العاصية مخافة التّزكية، فبلغ ﷺ في استشعار آثار الجمال إلى الحدّ الّذي جعله يلمحها حتّى في الأسماء، فكان ﷺ يدرك أثر العنوان في الدّلالة والإيماء على المضمون والموضوع[1].

إلى غير ذلك من الأحاديث الّتي يفهم منها معنى الجمال وأنواعه، ومكانته في الإسلام.

المبحث الثّالث: أنواع الجمال ودوره في العلاقات من منظور إسلامي.

المطلب الأوّل: أنواع الجمال ومعاييره في الإسلام

تبيّن كثير من أنواع الجمال في الإسلام من خلال بيان مفهومه في القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة؛ ولذلك قد يكون هناك تكرار لبعض الآيات والأحاديث بعض المرّات؛ لشدّة الرّبط ووجود التّداخل، وفيما يلي نبيّن أنواع الجمال حتّى يتبيّن مفهومه أكثر، وهذه الأنواع هي:

[1] جمال الظّاهر: جمال الصّورة والخلقة وتركيبها، وهو أمر يدركه البصر ويلقيه إلى القلب متلائماً، فتتعلّق به النّفس من غير معرفة بوجه ذلك ولا نسبته لأحد من البشر، ومنه جمال الإنسان، وجمال الأنبياء الجسدي، كما جاء في وصف أنس بن مالك للرّسول ﷺ: ((أنّه ﷺ كان ربعةً من القوم، ليس بالطّويل، ولا بالقصير، أزهر اللّون...))[2]، فهذا يدلّ على جمال هيئة الرّسول ﷺ وجسده المبارك.

(1) ينظر: المباركفوري، أبو العلا محمّد عبد الرّحمن بن عبد الرّحيم. تحفة الأحوذي بشرح جامع التّرمذي، ج8، ص103، محمّد عمّارة. الإسلام والفنون الجميلة، مرجع سابق، ص27.

(2) البخاري، الإمام محمّد بن إسماعي (توفّي 256 ه). صحيح البخاري (الجامع الصّحيح المختصر)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، اليمامة، مرجع سابق، كتاب "المناقب"، باب "خاتم النّبوّة"، حديث رقم 3354، ج3، 1302.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذا جمال يوسف –عليه السّلام- الجسدي، حيث كان آية فيه، كما قال تعالى عن ذلك: {فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هذَا بَشَراً إِنْ هذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ}[1]، ففي الجمال البشري متعة للنّاس، وتأليف لهم، فالوسامة تجذب النّاس إليها، وتحبّب صاحبها إليهم؛ ولذلك نجد أنّ من شروط الأنبياء سلامة أجسادهم من العاهات والمنفّرات البشريّة، وأنّ الملائكة إنّما يتمثّلون بأشكال حسنة وجميلة.

وممّا يدلّ على اعتبار الجمال الظّاهري في الإنسان قوله ﷺ حول جمال المرأة للرّجل الّذي أراد أن يتزوّج امرأة من الأنصار: أنظرت إليها؟ قال: لا، قال: ((فَاذْهَبْ، فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فإنَّ في أعْيُنِ الأنْصَارِ شيئاً))[2]؛ لأنّه يستدلّ بالوجه على الجمال؛ لأنّ في نظر الرّجل لزوجته متعة نفسية تفضي للحكمة الشّرعيّة، وهي تحقيق السّكينة والمودّة والرّحمة، كما يدلّ على ذلك قوله ﷺ: ((...الّتي تسرّه إذا نظر...))[3]، فالمرأة الصّالحة في نظر الشّرع هي الجميلة في الظّاهر والباطن.

والإسلام لا ينهى أن يحبّ الإنسان وجهاً جميلاً أو جسماً جميلاً، ويقدّر ما فيه من الجمال وينجذب إليه، ولكنّه لا يبيح ذلك بشكل فوضوي، فالنّظام يقتضي أن يكون الطّريق إلى الاستمتاع بهذا الجمال هو الطّريق المشروع وحده[4].

(1) سورة يوسف الآية: 31.

(2) سبق تخريجه سابقاً.

(3) سبق تخريجه سابقاً.

(4) ينظر: محمّد قطب. منهج الفنّ الإسلامي، مرجع سابق، ص95.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[2] (جمال الباطن): جمال الخُلق والأخلاق الباطنة: وهو كونه على الصفات المحمودة من العلم والحكمة والعدل والعفة وكظم الغيظ وإرادة الخير لكل أحد، وكالصّبر الجميل، والصّفح الجميل، والعفّة، والتّواضع، فيحبّ الله تعالى من عبده أن يجمّل لسانه بالصّدق، وقلبه بالإخلاص والمحبّة والإنابة والتوكّل، وجوارحه بالطّاعة، وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه والعناية به بتطهيره له من الأنجاس والأحداث، والأوساخ، وبالختان وتقليم الأظفار، وبفعل المضمضة والاستنشاق، والوضوء، والغسل، والسّواك،ومسّ الطّيب، والادّهان؛ لتحقيق النّظافة، وكلّ هذا يمثّل مظهراً لجمال الإنسان أو قبحه، وهذا منهج إسلامي يعيد الإنسان إلى الفطرة[1].

ويؤكّد الغزاليّ أنّ الجمال الخالد هو الجمال المعنوي؛ لأنّه لا يتغيّر عبر السّنين، أمّا جمال الشّكل فزائل بزوال أعضائه بالفناء أو بالتّغيّر الزّمني، وهو بذلك يعتبر أوّل من قسّم الجمال إلى ظاهر وباطن، فيقول: ((وليت شعري من يحبّ الشّافعي مثلاً فلم يحبّه ولم يشاهد قطّ صورته؟ ولو شاهده ربّما لم يستحسن صورته فاستحسانه الّذي حمله على إفراط الحبّ هو لصورته الباطنة، لا لصورته الظّاهرة؛ فإن صورته الظّاهرة قد انقلبت تراباً مع التّراب، وإنّما يحبّه لصفاته الباطنة من الدّين والتّقوى وغزارة العلم والإحاطة بمدارك الدّين وانتهاضه لإفادة علم الشّرع، ولنشره هذه الخيرات في العالم، وهذه أمور جميلة لا يدرك جمالها إلاّ بنور البصيرة، فأمّا الحواسّ فقاصرة عنها))[2].

(1) ينظر: محمّد عمّارة. الإسلام والفنون الجميلة، مرجع سابق، ص22.

(2) الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد، إحياء علوم الدّين، مرجع سابق، ج4، 299.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الرّسول ﷺ: ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً))[1]، وسئل عنه ﷺ عن أكثر ما يدخل النّاس الجنّة، فقال ﷺ: ((تقوى الله وحسن الخلق...))[2]، وقال ﷺ: ((اللّهمّ حسّنت خلقي فحسّن خلقي))[3].

[3] جمال الأفعال: وهو وجودها ملائمة لمصالح الخلق وقاضية لجلب المنافع فيهم وصرف الشر عنهم، كما قال ﷺ حينما سئل: من خير النّاس؟: ((من طال عمره وحسن عمله))[4].

[4] جمال اللّباس وما يتزيّن به: كما طالب الله تعالى أن يهتمّ الإنسان بلباسه وهيئته، قال تعالى: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}[5]، وكما يحبّ تعالى أن يرى أثر نعمته على عبده قال تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}[6]؛ لأنّ ذلك من شكره تعالى على نعمه وهو جمال باطن؛ ولمحبّته سبحانه للجمال أنزل على عباده لباساً وزينة تجمّل ظواهرهم وتقوّي جمال بواطنهم، قال تعالى: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ}[7]، وقال في

(1) التّميمي، محمَّد بن حبّان بن أحمد. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. بيروت، مؤسسة الرسالة،ط2، 1414هـ،1993م، باب "حسن الخلق"، حديث رقم 479، ج2، ص227.

(2) التّميمي، محمَّد بن حبّان بن أحمد. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. مرجع سابق، باب "حسن الخلق"، حديث رقم 476، ج2، ص224.

(3) التّميمي، محمَّد بن حبّان بن أحمد. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. مرجع سابق، باب "الأدعية"، حديث رقم 959، ج3، ص239.

(4) التّرمذي، أبو عيسى محمَّد بن عيسى. سنن التّرمذي:(الجامع الصحيح)، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، وآخرون. بيروت: دار إحياء التّراث العربي، د. ط، د. ت، كتاب "الزّهد"، باب "ما جاء في طول العمر للمؤمن"، حديث رقم 2329، ج4، ص565.

(5) سورة المدثر الآية: 4.

(6) سورة الضحى الآية: 11.

(7) سورة الأعراف الآية: 26.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهل الجنّة: {فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً}[1]، وقال: {وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً}[2]، فجمّل وجوههم بالنّضرة، وبواطنهم بالسّرور، وأبدانهم بالحرير، وهو سبحانه كما يحبّ الجمال في الأقوال والأفعال واللّباس والهيئة يبغض القبيح من الأقوال والأفعال والثّياب والهيئة، فيبغض القبيح وأهله، ويحبّ الجمال وأهله[3].

وكلّ ما جاء من الآيات والأحاديث في مدح اللّباس والتّجمّل يحمل على ما كان لله تعالى، وأعان على طاعته، وتنفيذ أوامره، والاستجابة له، كما كان النّبيّ ﷺ يتجمّل للوفود.

وهناك آيات وأحاديث يفهم منها ذمّ الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ لجمال الصّور وتمام القامة والخلقة، فقال تعالى عن المنافقين: {وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ}[4]، وقال: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْيًا}[5]، وقال ﷺ: ((إنّ الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم))[6]، وهي تحمل على ما كان للدّنيا والرّياسة والفخر والخيلاء والتّوسّل والتّوسّل إلى الشّهوات، وأن يكون هو غاية العبد وأقصى مطلبه؛ فإنّ كثيراً من النّفوس ليس لها همّة في سوى ذلك.

---

(1) سورة الإنسان الآية: 11.

(2) سورة الإنسان الآية: 12.

(3) ينظر: ابن قيّم الجوزيّة، أبو عبد الله شمس الدّين. الفوائد، مرجع سابق، ص184، محمّد عمّارة. الإسلام والفنون الجميلة، مرجع سابق، ص20.

(4) سورة المنافقون الآية: 4.

(5) سورة مريم الآية: 74.

(6) النّيسابوري، مسلم بن الحجّاج (توفي261هـ). صحيح مسلم. مرجع سابق، كتاب "البرّ والصّلة والآداب"، والآداب"، باب "تحريم ظلم المسلم وخذله.... "، رقم حديث 2564، ج4، ص1986.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأمّا ما لا يحمد ولا يذمّ، فهو ما خلا من هذين القصدين وتجرّد عن الوصفين[1].

[5] جمال الصّوت، كما قال الرّسول ﷺ: ((زيّنوا أصواتكم بالقرآن))[2]: أي بتحسين أصواتكم عند قراءته؛ فإنّ الكلام الحسن يزيد حسناً بالصّوت الحسن[3]، وقال تعالى عن ذمّ الصّوت القبيح: {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}[4]؛ لأنّ صوته مزعج للإنسان خصوصاً إذا كان صوت جمع منها صادراً معاً في وقت واحد، كما يفهم من صيغة الجمع، فالّذي لا يفرّح ليس بجميل.

[6] لم يقتصر الإسلام في ذكره للجمال على جمال الإنسان وما يتعلّق به من المال والثّوب، بل تجاوز إلى اعتبار الجمال في البيئة؛ إذ حافظ على نظافته برّاً وبحراً وجوّاً، حتّى يكون المحيط بالإنسان طاهراً حلواً خضراً صالحاً للعيش يسرّ النّاظرين.

ونستطيع أن نقول إنّ لتصوير القرآن الكريم والسُّنَّة المطهَّرة للجنَّة، بما تحتويه من مُتَعٍ حسِّيَّة ومعنويَّة، كان لتلك العوامل مجتمعة أثرٌ قوي في دفع المسلمين لمحاكاة هذا التصوير المثالي في التعامل مع البيئة.

(1) ينظر: ابن قيّم الجوزيّة، أبو عبد الله شمس الدّين. الفوائد، مرجع سابق، ص184–186، رفاعي، أنصار محمّد عوض الله. "الأصول الجماليَّة والفلسفيَّة للفنّ الإسلامي"، مرجع سابق، ص379.

(2)النّيسابوري، محمَّد بن عبدالله توفي405هـ. المستدرك على الصَّحيحين. تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1،1411هـ/1990م، كتاب "فضائل القرآن"، "ذكر فضائل سور وآي متفرّقة"، حديث رقم 2099، ج1، ص762.

(3)ينظر: المناوي، عبد الرّؤوف. فيض القدير شرح الجامع الصَّغير، مرجع سابق،ج4، ص68.

(4) سورة لقمان الآية: 19.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من هذه الآيات قوله تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُدْهَامَّتَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ}[1].

ومن تلك الأحاديث ما روي عن أبي هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ رَقَّتْ قُلُوبَنَا، وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الآخِرَةِ، وَإِذَا فَارَقْنَاكَ أَعْجَبَتْنَا الدُّنْيَا، وَشَمَمْنَا النِّسَاءَ وَالأَوْلادَ فَقَالَ: لَوْ تَكُونُونَ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى الْحَالِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ عِنْدِي لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ بِأَكُفِّكُمْ، وَلَوْ أَنَّكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَيْ يَغْفِرَ لَهُمْ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَدِّثْنَا عَنِ الْجَنَّةِ مَا بِنَاؤُهَا قَالَ: لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ وَمِلاطُهَا الْمِسْكُ الأَذْفَرُ وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ أَوِ الْيَاقُوتُ وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ فَلا يَبْؤُسُ وَيَخْلُدُ لا يَمُوتُ لا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلا يَفْنَى شَبَابُهُ، ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ

(1) سورة الرحمن الآيات: 46-76.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حِينَ يُفْطِرُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاوَاتِ وَيَقُولُ الرَّبُّ وَعِزَّتِيلأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ))[1]، [2].

كما يراعي الإسلام في الأشجار والنّبات والفواكه، فلا تقتصر حكمة خلق الأشجار والنّباتات والثّمار على الفوائد الحيويّة المعروفة من كونها غذاء للإنسان والحيوان، بل إنّ الله تعالى جعل لها وظيفة أخرى تؤدّيها في حياة الإنسان ووجدانه، وهي تلك البهجة والنّشاط والحيويّة التي تبعث في نفس الإنسان، كما قال تعالى: {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ}[3].

وكثرة حديث القرآن الكريم عن الشّجر والثّمار والجنّات يلفت النّظر في ذلك؛ إذ جاءت كلمة الشجرة فيه مفردة في نحو تسعة عشر موضعاً ومجموعة في نحو ستة مواضع[4]، أما كلمة الزَّرع ومشتقاتها فوردت في نحو ثلاثة عشر موضعا، وورد لفظ الثّمر بمشتقّاته 22 مرّة، والنّبات بمشتقّاته 26 مرّة، والحدائق 3 مرّات، والجنة مفردة ومجموعة 138 مرّة.

والقرآن الكريم حينما يعرض لذكر الأشجار والثّمار من حيث هي طعام للإنسان والأنعام، يأتي ذلك في سياق لافت لجمال المنظر، كما في قوله تعالى: {فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً فَأَنبَتْنَا

(1) التّميمي، محمّد بن حبّان بن أحمد. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. مرجع سابق، باب "وصف الجنّة وأهلها"، حديث رقم 7387، ج16، ص396–397، والتّرمذيّ في سننه: 672/4، كتاب صفة الجنّة، باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها، رقم الحديث: (2526).

(2) د. راغب السّرجاني، http://www. islamstory. com.

(3) سورة النمل الآية: 60.

(4) ينظر: فصل الزّراعة في الإسلام، مزهر، عبد الغني أحمد. مجلّة البحوث الإسلاميّة، عدد28، ص366.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فِيهَا حَبّاً وَعِنَباً وَقَضْباً وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً وَحَدَائِقَ غُلْباً وَفَاكِهَةً وَأَبّاً مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ}[1].

ولكنّ الإسلام دائماً يربط بين الأخلاق والمدنيّة فلا يقيم وزناً للمدنيّة إذا لم يكن معها أخلاق وقيم كما هي عند الغربيّين.

المطلب الثّاني: دور الجمال في العلاقة بالرّبّ

ترجع علاقة الجمال بالله سبحانه وتعالى في أنّه تعالى هو المصدر للجمال والواهب له؛ لأنّه تعالى بذاته وصفاته في غاية الكمال والجمال، وهو الّذي وصف نفسه بأنّه بديع السّموات والأرض، والخالق، والمصوّر الّذي أضفى على كلّ شيء في هذا الوجود مسحة الجمال والإتقان.

ولقد تحدَّث القرآن عن الزّينة والجمال، ولفت نظر الإنسان إلى ما في عالم الموجودات من جمال وروعة وفنّ وإبداع؛ لتكون دليلاً على قدرة الله وعظمته. فالجمال والتربية الجمالية طريق إلى معرفة الله تعالى، ودليل على عظمته والارتباط العقلي والوجداني به.

والكون بكلّ ما فيه من تناسق وروعة وجمال يشكّل لوحة فنية أخّاذة، ومصدراً للإلهام الفنّي والجمالي وتربية الحسّ والذوق والمشاعر وتهذيبها، ويدفع بالإنسان إلى معرفة الله تعالى ومحبّته وعبادته والشّوق إليه.

كما كا ن الرَّسول ﷺ المثل الإنساني الأعلى في الأناقة والجمال وسموّ الذوق.

المطلب الثّالث: دور العلاقات الاجتماعيّة في تحديد مفهوم الجمال

عندما يتحدّث المؤمن عن أيّ شيء جميل تتبادر في ذهن أيّ منّا تلك الصورة الحسنة أو حتّى الهيئة التى تستحسنها الروح، ذلك السرّ الذي

(1) سورة عبس الآية: 24–32.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استودعه الله في الإنسان، ولكن مفاهيم الجمال وماهيّاته تختلف من إنسان لآخر، وهذا يرجع إلى أسس تربيته ومنشئه، فالإنسان وليد بيئته لا حسبه ولانسبه، ومن هذا المدخل نجد أن المفاهيم المتّفق عليها هي مفاهيم روحانية ومفاهيم مادية.

مفاهيم روحانية التى يعكسها العالم الشرقي من خلال مرآة الإسلام، ومفاهيمغربية التي يعكسها العالم الغربي من خلال المادّية التى أسّست عليها،والتى جرَّها إليهم مفكّروها ومنظّرو عصر النهضة، والتى هذه الأخيرة قد امتدت أشعتها وظلالها لتطول العالم الإسلامي لذلك نقول: وقد يقال: ما الفرق بين مفهوم الجمال عند كل من المسلموإنسان العالم الغربي.

يقال في الجواب: المسلم حين يقرأ حديث رسول الله ﷺ وهو يقول: ((إنّما بعثت لأتمِّم مكارم الأخلاق))[1] يدرك بكياسته أنّ محور حياة المسلم يقوم كلّه على الأخلاق والسيربالنّفس إلى الكمال عن طريق صقلها والعمل على تزكيتها وجعلها وعاء من أوعية الله فيالأرض؛ لتكون أهلاً لذلك النّور الذي يقع في قلب المؤمن في كل خطوة يخطوها إلى اللهتعالى، وبعد كل خطوة يدرك أنّ الجمال ليس في جمال الجسد والمنظر، وأن المؤمن الّذي يعدل - وهويحسن مظهره- عن الحدّ اللازم يغفل عن شيء عظيم، وهو يدرك كيف يستلهم معاني الجمال من معاني القران الكريم وبعدها يتجلى جمال الروح على الجسد.

أمّا الجمال عند الغرب فانحصر في الجسد فظنَّ أن الجمال هوإظهار مفاتن الجسد لدرجة الإغراء إلى أقصى الحدود؛ لأن قيمة الجمال عندهم مادّية

(1)البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (توفّي 358ه). سنن البيهقي الكبرى. مرجع سابق، باب"بيان مكارم الأخلاق..."، حديث رقم 20571، ج10، ص191.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لاتتعدّى إثارة المكبوت غير المرغوب عندنا في الإنسان لذلك لا تستغربوا من درجةالعري عندهم؛ لأنه الباب الواسع للجمال؛ ولذلك لا تضع المسلمات المتأثرات بالغرب الحجاب الإسلامي، بناء على فهمهن للجمال بفهم الغربيّين.

وأية كرامة توجد للمرأة حين توضع صور الحسناوات في الدعاية والإعلان وفي كل ميدان، ولا يروج عندهم إلا سوق الحسناء فإذا سلبتْ السنون جمالها وزينتها أهملت كأي آلة انتهى مفعولها.

ما نصيب قليلة الجمال في هذه الحضارة؟ وما نصيب الأم المسنة والجدة العجوز؟ ملجؤها دور الملاجئ حيث لا تزار ولا يسأل عنها، وقد يكون لها نصيب من راتب تقاعد أو تأمين اجتماعي تأكل منه حتى تموت، كلّ هذا لنظرهم الضيّق إلى الجمال[1].

فظهر أنّ للعلاقات الإنسانيّة دوراً واضحاً في تحديد مفهوم الجمال بين تلك المجتمعات، فالعلاقات الجماليّة لا تقتصر على الفنّ وحده، وإن كان يشكّل ذروة تلك العلاقات، بل تأتي بناءً على موقف الإنسان من الله تعالى والإنسان والكون؛ ولذلك عندما يدرس مفهوم الجمال لدى أيّ مجتمع، فإنّه يجب أن يدرس مجمل العلاقات الاجتماعيّة الثّقافيّة الّتي ولدت نتيجة التّطوّر الاجتماعي والتّاريخي لذلك المجتمع، وهو تطوّر يرتبط بتاريخ الثّقافة والسّياسة والاقتصاد والتّقاليد والعادات والنّظم الأخلاقيّة والفكريّة الّتي يتميّز بها ذلك المجتمع عن غيره من المجتمعات.

ولمّا كان الاختلاف في هذه الأمور قائماً ومعترفاً به، وخاصّة بين الحضارات، كان علم الجمال بالضّرورة مختلف المفهوم والدّلالة بين حضارة وأخرى.

(1) ينظر: حميد، صالح عبد الله. بحث تلبيس مردود، مجلّة البحوث الإسلاميّة، عدد28، ص9.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى هذا الأساس فإنّ مفهوم الجمال عند المسلمين الّذين يسود فيهم مفهوم الله والّذين توصف حضارتهم بحضارة إلهيّة مختلف عن مفهومه عند الغربيّين الّذين يسود فيهم مفهوم الإنسان، والّذين توصف حضارتهم بحضارة بشريّة[1]، فكلّ حضارة تحياها جماعة من البشر إنّما تقوم على فكرة موجّهة وشحنات شعوريّة[2].

فمثلاً كان مفهوم الجمال لدى العرب قبل الإسلام موقوفاً على الأشياء المادّية الحسّيّة مثل: جمال المرأة والبعير والفرس والأطلال، فكان مقتصراً على ردود الفعل والمشاعر العاطفيّة المباشرة من حبّ وشوق وحنين ولوعة ولهفة اللّقاء، فقد نظّموا شعر الغزل فيمن يحبّون ويعشقون، وحينما جاء الإسلام اهتمَّ الإسلام بجمال النّفس والخلقة، فقد حثَّ النّاس على النّظافة والاهتمام بمظهرهم وزينتهم الشّكليَّة والرّوحيّة[3].

الخاتمة وأهمّ النّتائج:

وفي نهاية المطاف توصّلت إلى النّتائج الآتية:

[1] تبيّن أنّ لفظ الجمال ورد في اللّغة العربيّة بمعان عديدة، منها: البهاء، والحسن، ورقّته، والوسامة، كما عرّف في الاصطلاح بتعريفات عديدة، يتّضح منها أنّ جمال كلّ شيء هو كماله ممّا يبعث في النّفس السّرور والبهجة.

(1) ينظر: حسين الصّدّيق. فلسفة الجمال ومسائل الفنّ عند أبي حيّان التّوحيدي، مرجع سابق، ص22–24.

(2) ينظر: أبو ريّان، محمّد علي. فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، مرجع سابق، ص6.

(3) ينظر: ماجد محمّد حسن. "مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي" مجلّة الحوار المتمدن، عدد 876(2004م)، المحور، الأدب والفن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[2] ظهر أنّ هناك فرقاً بين الجمال والزّينة؛ إذ يطلق الأوّل على ما كان موجوداً في أصل الخلقة، والثّاني على ما أضيف إليه، ولكنّهما في الفعلين: (تجمَّل، وتزيَّن) بمعنى واحد، وهو تكلّف الجمال والزّينة.

[3] اتّضح أنّ التّجمّل مشروع في الإسلام إذا لم يكن فيه تغيير لخلق الله تعالى، لأنّ ذلك هو ما تقتضيه فطرة الإنسان؛ ولذلك يسعى جاهداً في تحقيقه.

[4] إنّ الله سبحانه وتعالى هو مصدر الجمال بأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا الكون الجميل المنظّم المتقن كلوحة فنيّة آخذة بيد النّاس للإيمان بالله سبحانه وتعالى.

[5] إنّ مفهوم الجمال في الإسلام أوسع من مفهومه عند الغرب، حيث إنّ الجمال في الإسلام يشمل الجسم والمادّيّات والقيم والأخلاق في التّعامل مع النّاس والكون، وأغلب الآيات الّتي ورد فيها ذكر الجمال جاء في مجال الأخلاق.

[6] إنّ هناك آيات وأحاديث عديدة ورد فيها لفظ الجمال أوما يدلّ عليه، وهي تحثّنا على التّجمل والسّرور بالجمال، وتنكر على الّذين يحرّمونه على النّاس.

[7] كما أنّ النّبيّ ﷺ كان الأسوة الحسنة في التّجمل والحثّ عليه بأقواله وأفعاله في اللّباس والكلام والخلق الحسن.

[8] إنّ الإسلام منهج حياة ولذلك وضع الآداب الجميلة والأتكيت الحسن لكلّ مرافق الحياة من الجلوس والقيام والمشي والزّيارات والأكل والنّوم واللّباس وكيفيّة التّعامل مع الآخرين، وكلّ هذا من الجمال الخلقي، ولا يمنع من إحداث ما يلائم العصر من الآداب في التّعامل مع النّاس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[9] إنّ الجمال كفنّ يدخل في الحرف والصّناعات والأعمال إذا أعملت وأنتجت بإتقان ودقّة وروعيت فيه الكماليّات والتّحسينات.

[10] إنّ الأحكام الفقهيّة المتعلّقة بحياة الإنسان في الإسلام تدلّ على مدى اهتمام الإسلام بالجمال، كأحكامه في الزّواج، واختيار الزّوجة، وفي الحجاب، وفي الطّهارة من الوضوء والغسل والسّواك وغيرها.

[11] إنّ الإسلام يراعي الجمال في المنطق والأدب والشّعر في المضمون والشّكل جميعاً، وليس الجمال في الإسلام مقصوراً على الثّياب الحسنة، والطّيب، وحسن التّجمّل.

[12] تبيّن أنّه لا خصومة بين الإسلام وبين الجمال، وأنّ الجمال بعض من صنع الله وآياته تعالى، الّتي أبدعها وأودعها في هذا الكون، وأنّ طلب الزّينة هو مقتضى الفطرة الّتي فطر النّاس عليها، وأنّ إدارة الظّهر لصفات الحسن ومظاهر الجمال من الانحراف الّذي جعل العبادة رهبانية مبتدعة ينكرها الإسلام.

[13] معنى كلمة الجمال أشمل وأوسع نطاقاً من معنى كلمة الفن، إذ يعدّ الفنّ واحداً من المجالات الّتي يسيطر الجمال عليها، ويظهر من خلالها، ولكنّ الفنّ ليس هو الجمال؛ إذ ليس كلّه جميلاً، فقد يوجد الفنّ، ولا يوجد الجمال فيه؛ لطبيعة ذلك العمل الفنّي الّذي ربّما كان تصويراً للقبح.

[14] دعا الإسلام إلى تجميل الباطن بإزالة الحقد والحسد والغلّ وغيرها من الرّذائل، وتحليته بالفضائل، وتجميل الظّاهر بالوضوء والغسل والثّياب، ومراعاة سنن الفطرة من استحداد وتفليم للأظافر وتنظيف للفم والأسنان وغيرها ممّا يجمّل شكل المسلم الخارجي.

وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصادر والمراجع:

بعد القرآن الكريم

الكتب المطبوعة

[1] إبراهيم مصطفى وآخرون. المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدَّعوة، د. ت، د. ط، د. ت.

[2] ابن سيدة المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل (توفى 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط1، 2000م.

[3] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السَّلام محمَّد هارون، بيروت، ط2، 1420هـ.

[4] أبو القاسم، الحسين بن محمَّد. المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، لبنان، دار المعرفة، د. ط، د. ت.

[5] ابن قيّم الجوزيّة، أبو عبد الله شمس الدّين. الفوائد، بيروت، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط2، 1393هـ/1973م.

[6] بو ريّان، محمّد علي. فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، مصر، دار المعرفة الجامعيّة، د. ط، د. ت.

[7] ابن منظور، جمال الدّين محمَّد بن مكرَّم بن منظور الأفريقي المصري (توفى711هـ). لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، د. ت.

[8] البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (توفى 358هـ). سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، مكّة المكرّمة: مكتبة دار الباز، د. ط، 1414هـ/1994م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[9] البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (توفّي 358هـ)، تحقيق: محمَّد السعيد بسيوني زغلول. شعب الإيمان، بيروت، دار الكتب العلميَّة، ط1، 1410هـ.

[10] البخاري، الإمام محمّد بن إسماعيل (توفّي 256 هـ). صحيح البخاري (الجامع الصَّحيح المختصر)، تحقيق:د. مصطفى ديب البغا، اليمامة، بيروت: دار ابن كثير، ط3، 1407هـ/1987م.

[11] التّرمذي، أبو عيسى محمَّد بن عيسى. سنن التّرمذي:(الجامع الصحيح)، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، وآخرون. بيروت: دار إحياء التّراث العربي، د. ط، د. ت.

[12] التّميمي، محمَّد بن حبّان بن أحمد. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط. بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1414هـ، 1993م.

[13] الجرجاني، علي بن محمّد بن علي. التَّعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري. بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1405هـ.

[14] حسين الصّدّيق. فلسفة الجمال ومسائل الفنّ عند أبي حيّان التّوحيدي، سوريا، دار القلم العربي، ط1، 1423هـ/2003م.

[15] الحلو، عبير أيّوب. زينة المرأة المسلمة وعمليّات التّجميل، أحكامها- تطبيقاتها، عبير أيّوب الحلو، القاهرة، دار الكتاب العربي، ط1، 2007م.

[16] الرّومي الحنفي، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني توفي 1067هـ. كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت، دار الكتب العلميَّة، 1413هـ/1992م، (د. ط).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[17] الزّبيدي، محمَّد مرتضى الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، د. ت.

[18] الزَّرقاني، محمَّد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، لبنان، دار المعرفة، ط1، 1416هـ/1996م.

[19] الزّركشي، أبو عبد الله محمَّد بن بهادر بن عبد الله. البرهان في علوم القرآن، بيروت، دار المعرفة، 1391هـ.

[20] الزّمخشري، جار الله محمود بن عمر (توفى 528هـ). الكشّاف عن حقائق غوامض التّنـزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، تحقيق: عبد الرَّزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، د. ط، د. ن.

[21] الشّامي، صالح أحمد. الجمال في منهج الإسلام وتشريعه، السعودية، دار كنوز أشبيليا، ط1، 1428هـ، 2007.

[22] الشّامي، صالح أحمد. الظّاهرة الجماليّة في الإسلام، بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1407هـ/1986م.

[23] السّامرّائي، محمّد رجب. أسماء في القرآن الكريم، لبنان، دار البشائر الإسلاميّة، 1426هـ/ 2005م.

[24] السّجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث (توفّي275هـ). سنن أبي داود، تحقيق: محمَّد محيي الدين عبد الحميد. دمشق: دار الفكر، د. ط، د. ت.

[25] السّجستاني، أبو بكر محمّد بن عزيز. غريب القرآن، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، 1416هـ/1995م، د. ط، د. ت.

[26] سيّد قطب. في ظلال القرآن، القاهرة، دار الشّروق، 1425هـ، ط34،/2004م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[27] السّيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين (توفي911ه). معجم مقاليد العلوم، تحقيق: محمَّد إبراهيم عبادة، ط1، مصر، مكتبة الآداب، 1424ه/2004 م.

[28] عبد الحكيم العبد، الجمال في القرآن الكريم مدخل وأطر مفاهيم وتصرّفات، في ضوء نصوص تأصيليّة من الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة، د. ط، د. ن، 1425ه/2005م.

[29] العسقلاني الشّافعي، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر توفي (852 ه).

[30] فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، لبنان، دار المعرفة، د. ط، د. ت.

[31] العظيم آبادي، محمّد شمس الحقّ. عون المعبود شرح سنن أبي داود، لبنان، دار الكتب العلميّة، ط2، 1995م.

[32] عيد سعد يونس. التَّصوير الجمالي في القرآن الكريم، مصر، عالم الكتب، ط1، 1427ه/2006م.

[33] الغزالي، أبو حامد محمّد بن محمّد. إحياء علوم الدّين، بيروت، دار المعرفة، د. ت.

[34] الفيروزآبادي، مجد الدِّين محمد بن يعقوب (توفي 817ه). القاموس المحيط، بيروت، مؤسّسة الرّسالة، د. ط، د. ت.

[35] القاري، علي بن سلطان محمَّد (توفي1014ه). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تحقيق: جمال عيتاني، لبنان، دار الكتب العلميَّة، ط1، 1422ه/2001م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[36] القاضي عبد النَّبي بن عبد الرَّسول الأحمد نكري، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، تحقيق: عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط1، 1421هـ، 2000م.

[37] المباركفوري، أبو العلا محمَّد عبد الرَّحمن بن عبد الرَّحيم توفي 1353هـ. تحفة الأحوذي بشرح جامع التّرمذي، لبنان، دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت.

[38] المحص، عبد الجواد محمّد. الجمال في القرآن الكريم (مفهومه ومجالاته)، د. ط، د. ن، 1426هـ/2005م.

[39] المحلّي، جلال الدّين محمّد بن أحمد المحلّي توفي 864هـ، والسّيوطي، أبو الفضل جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّد الشّافعي توفي 911هـ. الجلالان، تفسير الجلالين بهامش القرآن الكريم، تحقيق: محمّد عبد الرّحمن المرعشلي، لبنان، دار إحياء التّراث العربي، ومؤسّسة التّاريخ العربي، ط1، 1420هـ/1999م.

[40] محمّد قطب. منهج الفنّ الإسلامي، بيروت، دار الشّروق، ط6، 1403هـ/1983م.

[41] المدني، أزهار محمود صابر. أحكام تجميل النّساء في الشّريعة الإسلاميّة، السّعوديّة، دار الفضيلة، 1422هـ/2002م.

[42] محمّد عمّارة. الإسلام والفنون الجميلة، دار الشّروق، القاهرة، مصر، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ/1991م.

[43] المناوي، محمَّد عبد الرّؤوف. التّعاريف التَّوقيف على مهمّات التَّعاريف، تحقيق: د. محمَّد رضوان الدَّاية. بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1،1410هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[44] المناوي، عبد الرّؤوف توفي1031هـ. فيض القدير شرح الجامع الصَّغير، مصر، المكتبة التّجارية الكبرى، ط1، 1356هـ.

[45] النّسائي، أحمد بن شعيب. السنن الكبرى، تحقيق: د. عبد الغفّار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن. السنن الكبرى. بيروت: دار الكتب العلميَّة، ط1، 1411هـ/1991م.

[46] النّيسابوري، محمَّد بن عبدالله توفي 405هـ. المستدرك على الصَّحيحين. تحقيق:مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ط1411،1هـ/1990م.

[47] النّيسابوري، مسلم بن الحجّاج (توفي261 هـ). صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التّراث العربي، د. ط، د. ت.

[48] اليحصبي، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض السبتي المالكي. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة، د. ط، د. ت.

الرّسائل والأطاريح الجامعيّة:

[1] رفاعي، أنصار محمّد عوض الله. "الأصول الجماليَّة والفلسفيَّة للفنّ الإسلامي"، (رسالة دكتوره، جامعة حلوان، 2002م)، مكتبة الأسكندريّة، مصر، أطروحة دكتوراه مقدّمة إلى كلّية التّربية الفنيّة، قسم علوم التّربية الفنيّة، جامعة حلوان، منشورة.

[2] عبد الغفور، محمّد أحمد. "الجمال في ضوء السّنّة النّبويّة دراسة موضوعيّة"، ((رسالة ماجستير، الجامعة الإسلاميّة بغزّة، 2009م))، كلّيّة أصول الدّين، قسم الحديث الشّريف وعلومه، 1430هـ/2009م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المجلاَّت والدَّوريّات:

[1] الرّئاسة العامّة لإدارة البحوث العلميّة والإفتاء والدّعوة والإرشاد، مجلّة البحوث الإسلاميَّة، مجلّة دوريّة تصدر عن الرّياض، السّعوديّة.

[2] ماجد محمّد حسن. "مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي" مجلّة الحوار المتمدن، عدد 876(2004م)، المحور، الأدب والفن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com